مشعل عبد العزيز الفلاحي

أفكارٌ تصنعُ الحياة



أفكارُ تصنَعُ الحياةَ



الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

www.alkalam-sy.com

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

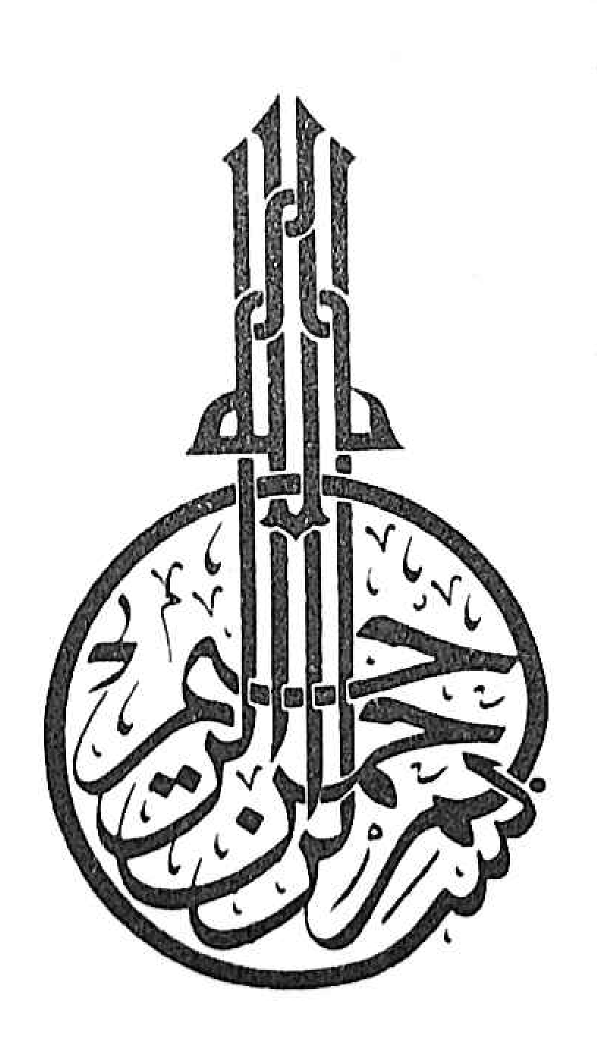
أفكارٌ تصنَعُ الحياةَ

بناء الأفكار الإيجابية،
وتحرير العقول من أوهام الأفكار السلبية؛
أكثر الأدوات أثراً في بناء الإنسان..

تأليف
مشعل بن عبد العزيز الفلاحي



دمشق


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

بناء الأفكار والمفاهيم، وتحريرها ممَّا يلحق بها من أوهـــام؛ مهمَّة كبرى تولاَّها الوحـــيُ في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية بالعناية والرِّعاية.

وكلُّ مَنْ تراه اليوم في عالـــم الأرض يحلِّق في المعالي، أو يرســـفُ في الواقع المريـــر؛ إنما هو نتيجة طبيعية للأفـــكار التي يعيش بها في حياته.. ومسألة نَصَبَ لها الوحي اهتمامه حقيقة بأن تكون ذروة سنام في أوقات المصلحين.

إنني على يقيـــن أنَّ حيـــاةَ الأمةِ مبنيـــةٌ على حياةِ الأفرادِ، وحياة الأفراد على قـــدر أفكارهم ومفاهيمهم في الحيـــاة، وأحســـب أنَّ كلَّ حـــرف يبـــذلُ في هذا الطريـــق إنما يمدُّ في أثـــر الوحي في حيـــاة الناس،

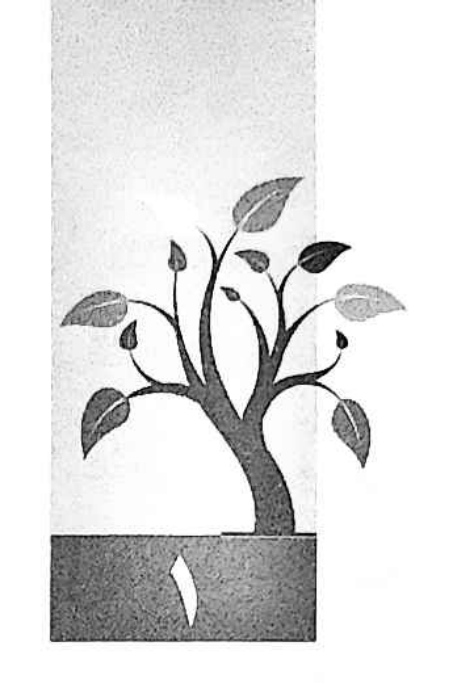
ويعينهم على فهم معانيه، ويفتح لهم طريقَ المستقبلِ على مصراعيه..

وما أنا هنا إلا رجلٌ يجهد أن يسقي عقول أبناء أمَّته بعضاً من أثر وحي السماء، وهو في ذات الوقت ينفع نفسه، ويسقي روحه، ويجهد أن يكون هو أول المنتفعين بهذا السقاء.

ما زلتُ أحلم أن يكتملَ مشروعي الذي بدأتُ بناءه بأول لبنة «**ابدأ كتابة حياتك**»، ووضعتُ قاعدتَه التطبيقية «**مشروع العمر**»، وها أنا أزيده حلماً ثالثاً «**أفكار تصنع الحياة**»، والأملُ يحدوني إلى تمامِ البناء، ومن توفيق اللّه تعالى أنني حتَّى هذه اللحظة التي أضع فيها لبنة المشروع الثالثة؛ أتلقَّى رسائل شكر وإعجاب وتقدير بما تمَّ من لبنات، وأرجو أن يهبَ اللّه تعالى من توفيقه لنا ما يعين على بلوغ الغايات؛ فإنْ كانَ مِنْ شُكرٍ على ختام هذه اللبنة فهو للّه تعالى أولاً وآخراً؛ فهو وليُّ كلِّ توفيق، ثم لأخينا الشاعر: **أحمد بن حسن الصابطي**؛ الذي وهب لهذه اللبنة نفثاتٍ هي سُرُج طريق النجاح بإذن اللّه تعالى.

وأدعـــو الله تعالـــى أن يهـــبَ مـــن جزائـــه وأجره **لوالدينا**، ولمعلمنا **خلف بن حسن الفاهمي**، ولمربينا **الدكتور علي بن عبد الله الفقيه** رحمهم الله جميعاً، وأســـكنهم فســـيح جناته، ولكلٍّ من حرص على نجاح هذا المشروع وأمثاله أوفر الحظ والنصيب، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

مشعل بن عبد العزيز الفلاحي
مشرف تربوي
بإدارة التربية والتعليم بمحافظة القنفذة
المملكة العربية السعودية
وادي حلي - قرية الفلحة
Mashal001@hotmail.com



١ الأمـلُ

مهما كانـت الأحـزانُ التي تسـكن قلبك هذه اللحظة؛ فهناك فسحةُ أملٍ تنتظرك! هذه الأحزان التي تنتابك هذه اللحظـة **كفَّارة لذنبك؛** كما قال نبيُّك ﷺ: **«ما يصيبُ المسلمَ مِن نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ وَلا همٍّ حتَّى الشوكة يُشاكُها إلا كفَّر الله بها من خطاياه»**.

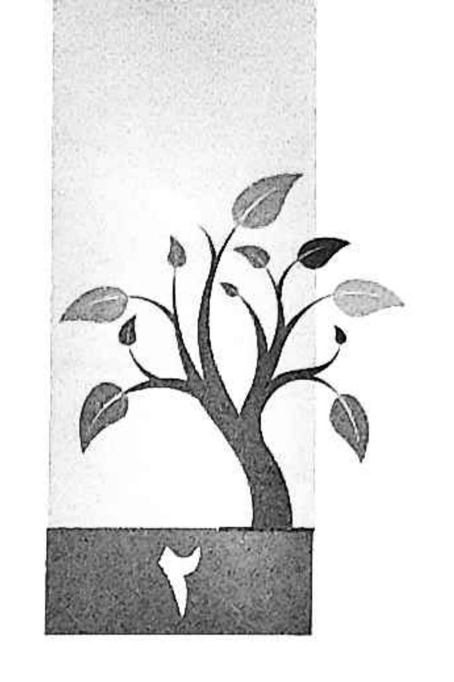
ورفعة لدرجاتك؛ كما قال نبيُّـك ﷺ: **«إنَّ اللهَ إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم»**.

وهي في النهاية **تجربة واقعية لقدرتك على تحمُّل أعباء الحياة!**.

أذكِّرك بأنك أقدر على تحمُّل كلِّ ما يصيبك، وأقوى على الصمود أمام كلِّ ما يواجهك..

إنَّ حياةَ كلِّ إنسانٍ ستظلُّ مليئةً بالعقباتِ؛ وهي بعض أقدار الله تعالى في الدُّنيا، واجِهْ كلَّ مشكلاتك بعين الرضا، وانهض محتسباً لأجرها عندَ الله تعالى، وخُضْ تجربةَ الأملِ في حياتك من جديد، واعلم أنَّ غروبَ الشمسِ، وظلامَ اللَّيلِ، على موعدٍ مع بلج الفجر، وشروق الشمس.

إنَّ اللَّيلَ مهما بلغ ظلامُهُ يظلُّ على موعدٍ مع النَّهار، والشمسُ مهما اشتدَّتْ حرارتُها؛ تظلُّ موعودةً بنسائمِ اللَّيلِ الباردةِ، والصِّحَّةُ ممدودةٌ يدها لكلِّ مكلومٍ، والأفراحُ تفتح ذِرَاعيها لكلِّ محزون.



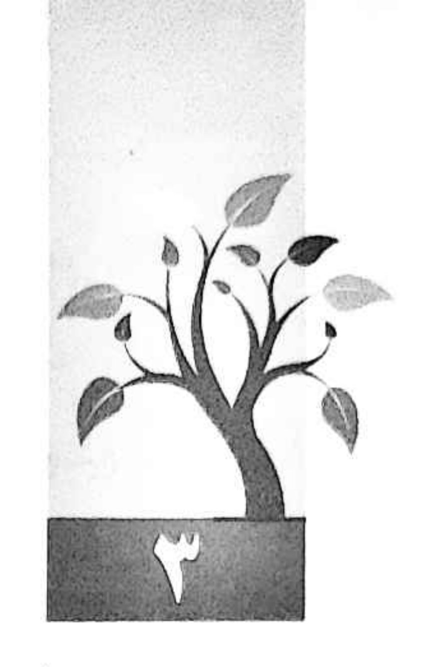
عِشْ لحظتَكَ الحاضرة

عشْ لحظتَكَ الحاضرةَ بما فيها من أحلام وآمال؛ اللحظة الَّتي تعيشُــها الآنَ أثمنُ لحظةً في حياتك، وأجملُ لحظةٍ في عمرك كلِّه.

اســتثمرْ لحظتَكَ في كلمةٍ صادقةٍ، وابتسامةٍ مُتْرَعَةٍ بالمشــاعر، وفعلٍ يُكتبُ أثرُه اليــومَ، أو يُنتظرُ عائدُه غداً أوسعَ ما يكون.

عشْ لحظتَك ســواء كنتَ في بيتِــكَ، أو على قارعةِ الطَّريق، أو في مقرِّ عَمَلِكَ، أو في لقاء من تحبُّ.

عِشْها بالطَّريقة التي تزيدُ من رصيدِك، وتُوَسِّع في أثرِك، وتكتــب حظَّك من الدنيــا.. فاللحظات تمضي من عمرك، وغداً أنت مجموعُ هذه اللحظات.



٣ الحرية

الحُرِّيَّةُ حاجةٌ غريزيةٌ، وفطرةٌ ملحَّةٌ، وحقٌّ وهبه الله تعالى لكلِّ إنسان!.

وليس لإنسان في الأرض مهما بلغتْ مسؤوليتُه حقٌّ في الاعتداء علـــى هذه الحرية بأيِّ صورة من الصور، إلا في حدود ما جاء به الشرع.

لم ير الإنسانُ صورةً قاسـيةً في حياته كالتي رأى فيها مخلوقاً وهو يرســفُ في قيود الحرية، ويقبع في سجونها.

إنَّ من حقِّ كلِّ إنسانٍ أن يفكِّر بالطَّريقة التي يراها، وبالأسلوب الذي يستحســنه ما دام أن الله تعالى وهبه عقلاً يفكّر به، ويحكم به على صحة الأشياء أو خطئها.

ومن الجرائم الكبرى في حق عقولنا: أن نسـلِّمها لكاتبٍ أو متحـدِّثٍ دون أن نناقشَ أفـكارَه، ونعرضها على نور الوحي، ونُصْلِيها بالتفكير والتأمل حتى تنضجَ على استواء.

لقد بات كثيرٌ من النَّاس يرسـفُ فـي قيد الحريةِ وهـو لا يـدري، تجده يحصر نفسـه فـي مذهبٍ من المذاهبِ الفقهيـة؛ يصدر في فتواه عن رأي المذهب، ولا يخـرج عن مذهبه قيـد أنملة، ويتعبّـد لله تعالى بأقوال الرجال.

وتجد آخر يتلقّفُ حرف كاتبـه المميّز حين يقرؤه أو يسـمعه بكل شـوق، ولا يكلِّف نفسـه نقاشَ أفكاره التي يطرحها، وتمحيصَ آرائه التي يبثُّها.

وفي الجانب الآخر كثيـرون يؤمنون بهذه الحرية نظريّـاً، ويهبونها بتفاصيلها في هامـش الواقع عند العمـل، ترى ذلك في صـورة موظَّف يـدوسُ عليها بقدمه من أجل إرضاء مسـؤول العمـل، ويظلُّ يبعثرُ اتساقَها في صور شتى داخل بيته وأسرته، وفي واقع عمله.

إنَّ الإنســانَ لا يجد روحَ الحياةِ وأَلَقَها حتى يتنفَّسَ هذه الحريةَ بالصورة التي يختارها هو، ويقررها وعيُه وإدراكُــه، ويجعل نصبَ عينيــه أن هــذه الحريةَ حقٌّ مكتســبٌ لا قدرة لمخلوق فــي الأرض على منع آثارها في حياة إنســان، وحين يمضــي الواحد منــا وهو لا يلتفت خوفاً من مخلوق، أو فزعاً من مســتقبل؛ يمكن أن يصنعَ تاريخَه بالطريقة التي يريد.





٤ الأمراضُ القلبيةُ

يتحدَّث النـــاسُ عن الأمراض الجســديَّةِ، ويُولُونها كلَّ شـــيءٍ من اهتمامِهِمْ، ويجهدون في سُبُل الوقاية منها غايةَ وسْعِهم، ويبذلُ الواحدُ كلَّ ما يملك خشيةَ لحظةِ المرضِ، وفي ذاتِ الوقتِ ينسَــوْنَ الحديثَ والعنايةَ والاهتمامَ بأكثرِ الأمراضِ خطورةً على حياتهم ومستقبلهم: الأمراضِ القلبية، حتَّى إنَّ الواحــدَ لا يحفل بهــذه الأمــراضِ، ولا يعيرُها اهتماماً، وكأنَّها شيئاً لا مساحةَ له من الأثَرِ في حياته.

إنَّ الفرقَ بينَ مرضِ الجســد الَّــذي تهابه وتحترزُ منــه، وبين مــرضِ القلبِ الَّــذي لا يحظى بمســاحة اهتمام؛ كالفرقِ بين الدُّنيا والآخرة؛ ذلك أنَّ أمراضَ الجســد مهما بلغت خطورتُها وآثارُها على الإنسان لا تعدُو الدُّنيا فحســب، ويظلُّ لها عوائــدُ خيرٍ في كثيرٍ

مِنَ الأحيانِ على آخرةِ الإنسانِ متى ما حَسُنَتْ نيةُ الاحتسابِ، أمَّا أمراضُ القلبِ فخطورتُها أكبرُ ممَّا يتصوَّرها الإنسانُ، يكفيها أنَّها خسارة للدَّارَيْنِ.

إنَّ الحَسَدَ والغِلَّ والنِّفاق أكثرُ الأمراضِ انتشاراً بين الناس، وأقلُّها حظّاً من العنايةِ والاهتمامِ، وهي في النِّهاية أسرعُ الطُّرُق إلى سوءِ الخاتمةِ، وضياعِ آخرةِ الإنسانِ، والعيشِ في دركاتِ النَّار.

لقد بلَّغنا النبيُّ ﷺ في حديثه: أنَّ رجلاً دخلَ الجنَّةَ وهو ما زال في الدُّنيا؛ لأنَّ قلبه خالٍ من الأمراض المعنويَّةِ، وكم من معلولِ الجسدِ دخلَ الجنَّةَ من أوسع أبوابها؟!.. ومرضٌ واحدٌ من أمراضِ القلبِ كفيلٌ بضياعِ حياةِ الإنسانِ في الدَّارين.

كم نحنُ بحاجةٍ إلى الحديثِ عنِ الأمراضِ المعنويَّةِ؛ أمراضِ النِّفاق، والغِلِّ، والحسدِ، والبغضاءِ، والبحثِ عن وسائلِ علاجٍ لها!.. إنَّها لا تحتاج إلى مستشفياتٍ، ولا تكلِّفُ مالاً، وإنما دواؤها القرآنُ الكريمُ، وحُسْنُ الصِّلةِ بالله تعالى، والتعرُّف على حقيقة الدُّنيا الفانية، وإدراكُ النِّهايةِ لكلِّ إنسانٍ.



٥ كُنْ جميلاً

كُنْ جميلاً في كلِّ وقتٍ!..

إنَّ الجمالَ الحقيقيَّ روحٌ شفَّافةٌ، وقلبٌ مُحِبٌّ، وابتسامةٌ صادقةٌ يمنحُها الإنسانُ كلَّ مَنْ يلقاه في الطَّريقِ!.

ومهما بلغَ جمالُ الصُّورةِ ستظلُّ ناقصةً في حياةِ إنسانٍ إن لم تكتملْ بمعاني الجمالِ الحقيقيةِ.

إنَّ النفوسَ الصَّادقة تجلبُ محبةَ الآخرينَ، وتجعلُ القلوبَ تهفو إلى رؤيتها، وتراها فترى معاني الحبِّ الصَّادقِ في كلِّ لحظةٍ من لحظاتِها..

ما أحوجَنَا إلى أن نُجَمّل أنفسَنا بمساحاتِ الحبِّ الَّتي تتفشَّى في قلوبنا لكلِّ إنسان، وأن نحملَ أخطاءَ

الآخرين دون أن نجد لها جهــداً أو عناءً في حياتنا، وأن نبحثَ في كلِّ لحظةٍ خطأً عن عذرٍ لصاحبِهِ مهما كانتِ الدَّوافعُ الَّتي نراها ظاهرةً تلك اللحظة.

ما أجملَ أن لا نشــترطَ فــي حبِّنــا للآخرينَ! وأن ندعَ كلَّ إنسانٍ على سجيَّتِهِ، ولا نكلِّفه ما لا يقدر على حملِه، أو ينوء بأثقالِهِ في الحياةِ.

هذه هــي الجوانبُ المشــرقةُ، وهــي ذات مواطن الجمالِ والصِّفات اللائقة بالمدحِ والثَّناءِ في شخصية كلِّ إنسانٍ.





٦ السَّعادةُ

كثيرٌ من النَّاسِ يبحثونَ عن السَّعادةِ، ويجهدونَ في تحصيلها، ويبذلونَ من أجلها كلَّ ما يملكون، ولكنَّهم لم يعثروا عليها بعد! لأنَّهم لم يبحثوا عنها في مظانِّها..

ظنُّوا أنَّها في المال؛ فذهبتْ جُلُّ أوقاتِهم في ذلك، ولمَّا وجدوه لم يجدوها في أعطافِ الرِّيال.

وذهبوا يبحثونَ عنها في الشُّهرة؛ فما زال بهم الزَّمانُ حتَّى عثروا عليها بعد جهدٍ وعناء، واكتشفوا بعد ذلك أنَّ السعادة ليست في أثوابها.

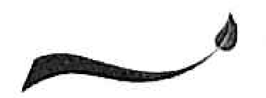
وعادوا يبحثونَ عنها، وينفقونَ من أجلِها، ويجهدونَ في تحصيلها؛ لكن دون فائدة.. كل ذلك لأنَّهم لم

يتأمَّلوا قول الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧].

إنَّ هذه الآيةَ تختصرُ الطَّريقَ كلَّه، وتضعُ الإنسانَ أمامَ الحقيقةِ الضَّائعةِ.. لا تكلِّفْ نفسَك عناءَ البحثِ، فالطَّريقُ واضحةٌ لكنَّها تحتاجُ إلى تضحيةٍ حتَّى تعانِقَ هذه الحقيقةَ الكبرى في حياتنا كلها..

السَّعادةُ تمسُّكٌ صادقٌ بالدِّينِ، وتطبيقٌ واقعيٌّ لمعالمِهِ في حياةِ الإنسانِ، ورحلةٌ تمضي بالإنسانِ للدَّارِ الآخرةِ، لا تلتفتُ للدُّنيا إلاَّ في حدودِ العونِ على بلوغِ النِّهاياتِ.

حين ندركُ هذه الحقيقةَ، ونعملُ في اتجاهها، ونجهدُ في تحقيقِ غاياتِها؛ نعانقُ الحقيقةَ الَّتي نبحث عنها، ونَصِلُ للأمنيةِ الكبرى في الحياةِ.





٧ الهَدَفُ

ما أكثرَ المتعلِّقيــنَ بالرِّياضــةِ، المهتمِّينَ بها، المشــتغلينَ بشــأنها! وفي المقابل: ما أقلَّ فائدتَها لهم وآثارَها الإيجابيةَ عليهم!..

إنّها تعلِّمهم كلَّ يومٍ قيمةَ الهدفِ في الحياةِ، وأثرَه في النَّصرِ، ودورَه فــي التفوُّقِ، وتؤكِّــد عليهم أنَّ كلَّ الأموالِ والأوقات والجهود الَّتي تذهبُ في الإعدادِ إنما تذهبُ من أجلِ الهــدفِ، وتُريهم في لحظــاتٍ كثيرةٍ منها **أثرَ الهدفِ في القلــوبِ، وعظمتَهُ في النَّفوسِ، ودورَهُ في عناقِ النَّصر.**

ومع كلِّ ذلك لم ينتبهوا لهذه الحقيقة الكبرى من الكُرَةِ، وانشــغلوا عن كلِّ ذلك باسم النصرِ والهزيمةِ فحسب!.

أمَا إنَّها مدرســـةٌ تعلِّم فـــي كلِّ لحظةٍ من لحظاتها قيمةَ الهدفِ في حياة الإنســـان، ويكفي المهتمِّينَ بها هذه الحقيقةُ الضَّائعةُ من حياتهم.

الكُرةُ بدون هدفٍ لا طعمَ لهـــا، ولا فرحَ فيها، ولا خســـارةَ لها، وكلَّما غاب منها الهدف غـــاب منها كلُّ شيء.. **وإذا كان الهدفُ بهذا الحجم في مباراةٍ، فما أحوجَنا إلى إدراك قيمة الهدف في الحياة كلِّها.**





٨ الحياةُ فُرْصَةٌ

«الحياةُ فُرْصَةٌ» معنًى وجدَتْ أثَرَه بَغِيٌّ بسقائها كلباً على متن بئر، ولقي نعيمَه رجلٌ قطع شوكاً مِنْ عرضِ الطَّريق، ودخل الجنَّة عكاشة رضي الله عنه دون حساب ولا عقاب من أجل أنَّه هتف بالفرصة، وأدرك هذا المعنى العظيم في أعطافها..

لعلك تدري أن من قال: سبحان الله وبحمده؛ غُرست له نخلة في الجنَّة، وكلُّ خطوة تخطوها إلى الصَّلاة صدقة، وتبسُّمك في وجه أخيك صدقة، والكلمةُ الطيبة صدقة.

وما زالت الحياة تمضي، والفرص تتوسّع في حياة كل إنسان بالقدر الذي يمكنه من عناقها أو عناق بعضها.

وقد يكون الجزاء أحلام عُمُرٍ وتاريخ إنسان! فَحُمْ حول هذا الحمى، وكن على جنباته فَطِناً لبقاً، وكلَّما لاحت لك فرصة فاهتف بها، وحَيَّ على آثارها في رحلة العمل.

لقد نزل جبريلُ عليه السلام من السَّماء يبلِّغ كلَّ إنسان في الأرض أن رغامَ الأرض أحقُّ بأنفِ مضيِّعِ الفرصِ: **«رغم أنف رجل ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر ـ أو أحدهما ـ فلم يدخلاه الجنة»**.

وقد بلغك أن رجلاً دخل على النبيِّ ﷺ قائلاً: السلام عليكم، فقال ﷺ: **«عشراً»**، ودخل الثاني قائلاً: السلام عليكم ورحمة اللّٰه، فقال: **«عشرين»**، ودخل الثالث قائلاً: السلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته، فقال: **«ثلاثين»**.

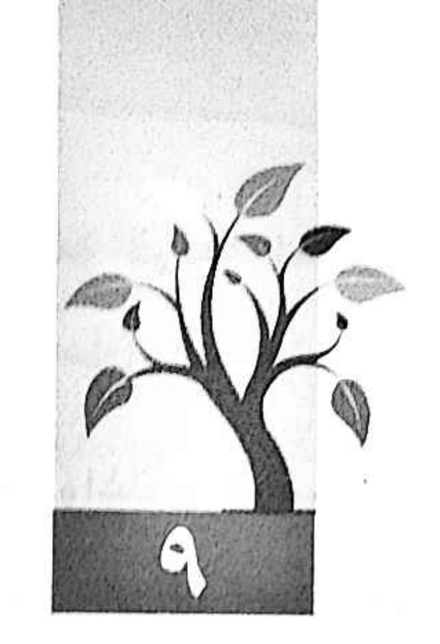
وكل ذلك دعوة لعناق الفرصة في أوضح صورها وأعظم معانيها.

أودُّ أن أقول لك: **في كلِّ لحظة تعيشها ثمة**

فرصة، وفي كلِّ مكان توجد فيه ثمة فرصة أخرى، فالفرص بقدر اللَّحظات من عمر إنسان.

كن فَطِناً، واســـتثمر لحظتك، واغتنم فرصتك، واترك لك أثراً فـــي كلِّ لحظة من عمرك؛ تَعِشْ في هذا المعنى حياتَك كإنسانٍ.





٩ لا تحقرنّ من المعروف شيئاً

«**لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً**» قد يبدو المعروف الذي بين يديك هذه اللحظة بسيطاً حقيراً، وقد يكون كبيراً عظيماً، إياك أن ترى معروفاً فتزهدَ فيه لخِفّته وقِلَّته! وما يدريك أن يكون ذلك البسيط هو سرّ دخولك الجنان.. كم من يسيرٍ لازمه الصّدق فكانت عواقبه أعظم ممَّا يتصوَّر إنسان!.

«**لا تحقرن من المعروف شيئاً**» هذه هي الرِّسالة التي دفع بها النبيُّ ﷺ إلى قلبك، والتباطؤ عنها فواتٌ لأرباحها وعوائدها الكبرى في حياتك..

أقبل على كلِّ معروف تجده في هذه اللحظة، واصنعه تصنع لنفسك مجداً كبيراً في الدّار الآخرة!.

إنَّ الابتسامة صدقة، والنصيحة صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وتفريجُك عن إنسان كربةً تفريجٌ عنك كربة من كرب يوم القيامة، والله تعالى في عونك ما كنت في عون أخيك.

وفي حديث نبيِّك ﷺ ما يبين ذلك، حين قال: «**أحبُّ النَّاس إلى الله أنفعهم، وأحبُّ الأعمال إلى الله ﷻ سرورٌ تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورتَه، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتَّى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام**»..

كم من معروف لم يحفل به الإنسان في الدنيا لبساطته سيرى في النِّهاية كم كان أثره في صناعة تاريخه!.



١٠ زوجُكَ

زوجُكَ الَّتي في بيتك أعظم امرأة، وأجمل امرأة، وأروع امرأة تلقاها في حياتك..

خُضْ معها رحلــة الحبِّ ومشــواره الطَّويل، واكتب لنفسك في رحاب قلبها ما يكتبه رجلٌ في حياة امرأة.

مشــكلتنا الكبرى أنَّنا لا نبحث عــن الحبِّ في موطنه، وتظلُّ أعيننا تتشوَّف له من وراء الجدران..

إنَّ الحبَّ لا يكبر فــي نفس زوج حتَّى يحصرَ نظره فــي الجوانب المشــرقة لزوجــه، ويغــضَّ بصره عن جوانب النقص التي تعترض حياتها كامرأة.

وقد علَّمنا النبيُّ ﷺ هذا الدَّرس في قوله: «**لا يفْرَك مؤمنٌ مؤمنةً؛ إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر**».

إنَّ هذه المرأة التي في بيتك تصنع لك ما تعجز عن وصفه، تأمَّل في سيرة يوم واحد لتراها لحظة غسيل ثوبك، وتنظيف بيتك، وترتيب غرفتك، وتهيئة طعامك، فكيف إذا كانت هذه المرأة الَّتي تجهد في لحظاتها كلِّها من أجلك هي ذاتها الَّتي تأتي في المساء بمشاعر الحبِّ والعواطف لتهبك من حنين الأشواق ورحلة المحبين؟!.

إنَّ أكثر الأزواج شقاءً في حياته هو ذلك الزَّوج المشغول بمقارنة زوجه مع الأخريات، وتظلُّ عينه تبحث في كلِّ صورة عن محاسن الجمال ومفاتن النساء، وفي النهاية يخسر مرتين: مرة حين فتح لقلبه الشِّعاب، وأضاعه في أودية الهلاك، وأخرى حين زهد في زوجه ولم يعد يجد لها في قلبه من الأشواق موضعاً.

حين نريدُ السَّعادة بصدق فعلينا أن نعرفَ أن ذلك هو اختيار الله تعالى لنا، وأن نجرِّب في كلِّ لحظة مع هذه المرأة فنونَ الحبِّ، وأن نركّز في النظر على إيجابيات هذه الزوجة، وأن ندعوَ الله تعالى ونلحَّ

عليـــه أن يجعلها قرة العين، وسَـــكَنَ القلب، وســـقاء الـروح.. وستأتي اللَّحظات تتحدَّث بأروع قصص الحبِّ في حياة حبيبين.





١١ أحاديثُ الماضي

أحوج ما يحتاج الإنســـان مع نفسه أن ينظر إلى الجوانب المشرقة فيها، وأن يجهدَ بكلِّ ما يمكنه في الحيلولة بين نفسه وبين أحاديث الماضي السلبية.

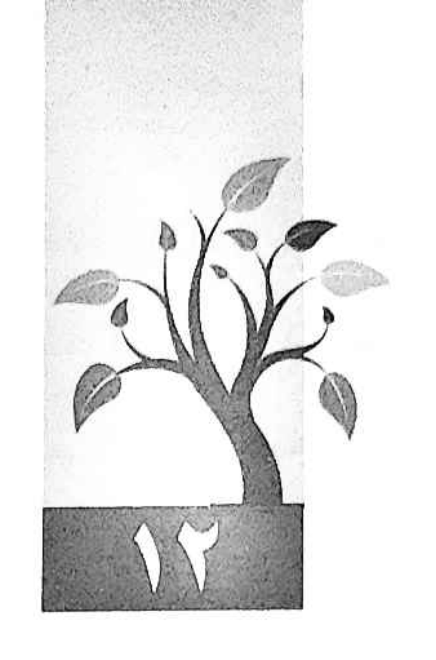
أكثر ما يقتل الإنسان أنَّه يحصر نفسه في أخطاء الماضي، وتظلُّ هذه الصور هي أكثــر الصور عرضاً على فكره، وحديثاً إلى قلبه ونفســـه، ويمضي الزمان ويمضي وهو يتقاصر ويتناقص حتَّى يذبلَ فلا يكون له أثر في نفسه، ولا واقع إيجابيٌّ في حياته.

إنَّ كلَّ إنسان يخطئ، وســـتظلُّ هذه السُّنَّة ملازمةً للإنســـان ما بقي فـــي الأرض مهما تـــدرّج في مدارج الكمال، **وعليه في المقابل أن ينظر إلى هذه الأخطاء أنها رصيد من التجارب تكبر بتوسُّع أخطائه.**

وسيظلُّ الخطأ تجربة جديدة ملَّكت الإنسان معرفة كبيرة.. وسيزداد إشراق الحياة في نفوسنا حين ندرك أنَّه لولا هذه الأخطـاء في حياتنا لمـا كان لنا هذه التجربة المشرقة في الواقع.

إنَّ أكثر المســاحات شُــؤماً فــي حياتنــا هي تلك المساحات التي تُقتطع من أوقاتنا للتفكير في أخطاء الماضي، وحســاب مواقف الفشــل فيها، ولن تتوقّف خسارتنا في أوقاتنا المهدرة التي رحلت لحظة التفكير في تلك الأخطاء، وإنما ستوسِّع هذه المساحاتُ جوانبَ النقص في نفوسنا، وســنظلُّ في كلِّ لحظة نفكِّر فيها فــي الماضي نأخــذ من نفوســنا قَدْراً مــن الكرامة، ونسلب منها قَدْراً كبيراً من الحرية والنجاح.





مشروعُك الشَّخصيُّ

جرِّبْ أن تعيش لمشروعٍ في حياتك!.

إنَّ فكرة المشروع حين تأخذ حيِّزاً من حياة إنسان تنقله مباشــرة إلى عالم الكبار، فتوسِّع في خطوه، وتزيد في حجمه وأثره في الأرض.

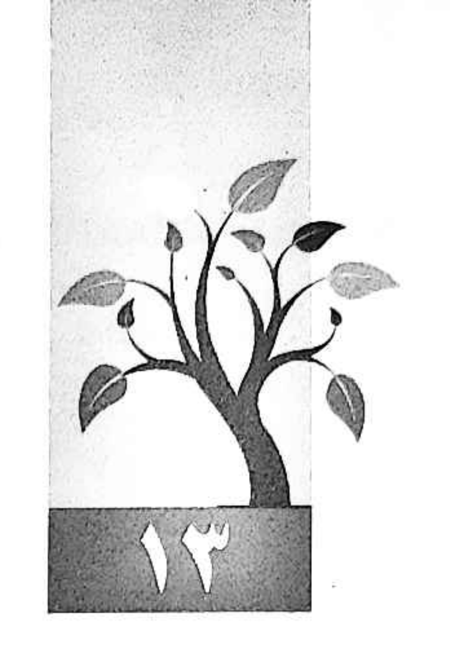
إنَّ المشــروع الَّذي يمكن أن يغيّــر حياتك، ويبني مســتقبلك، ويزيد فــي حجم أثرك؛ لا صفــةَ له، ولا لوناً، ولا شكلاً محدداً، إنَّه مشروع أنت الذي تختاره، وأنت الذي تشكله بنفسك، ولا يملك إنسانٌ في الأرض أن يشكِّل لك مشروعك في الحياة.

قف مع نفســك، وتأمَّل في قدراتك، واستعرض الأعمال التي تجد لها مســاحة في قلبك، ثم اخترْ

مشروعَك الذي تريد، وابدأ معه رحلة البناء، واعلم أن كل لبنة في ذات المشروع هي لبنة في بناء الأمة، ولا توقف مشروعك على انتظار الحلم القادم فيه، بل افرح بكلِّ لبنة فيه كفرحك بآخر لبنة في المشروع.

تلك اللحظة التي تجد فيها مشـــروعك هي اللحظة التـــي تقف أمتـــك على عارضـــة الطريـــق؛ تهتف بك مولوداً جديداً من رحم الأيام.





١٣ الأخلاق

ما أقلَّ كلفةَ الأخلاق! وما أكثرَ آثارَها في حياتنا!.

الأخلاق: وجــه ليِّن، وعمل هيِّــن، وفي النهاية الفردوس الأعلى من الجنان..

ما غبط إنسان ما غبط من فتح الله تعالى عليه في الأخلاق، اقرأ إن شــئتَ حديث نبيِّك ﷺ: «**إنَّ أحبَّكم إليَّ، وأقربَكم منِّي مجلســاً يوم القيامة؛ أحاسنكم أخلاقاً**» لترى أثرها في كتابة تاريخ إنسان.

مشــكلتنا مع الأخلاق أننا لا نتعبّد الله تعالى بها، بل نراها شــيئاً عارضاً لا حساب له في الآخرة، وهذا أحد المفاهيم المغلوطة في حياتنا.

لو لم يكن في الأخــلاق إلا حديثُ النبيِّ ﷺ: «إنَّ

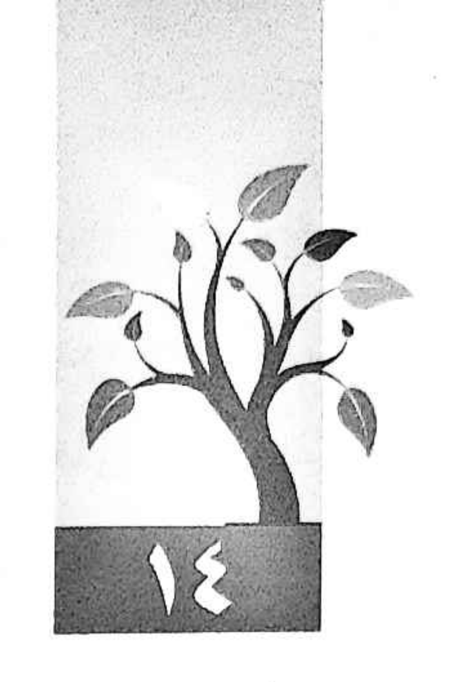
صاحبَ حســـن الخلق يبلغ درجـــة الصائم الذي لا يفطر، والقائم الذي لا يفتر» لكان دليلاً وافياً على أنها من أوسع أبواب العبادة.

إنَّ الأخلاقَ مدرسةٌ يجب أن تفتح أبوابها أول ما تفتح في بيوتنا، مع زوجاتنا وأبنائنا.

يجب أن تعرفَ هذه الزوجة أنَّ خِيارها في اختيارك زوجاً هو أعظم قــرار صحيح تتخذه في حياتها، ويجب عليك ألا تجعلها تندمُ لحظة على قرارٍ بذلتْهُ من أجلك.

وكذلك الأبناء يجب أن يقرؤوا فصول هذه المدرسة في أفيــاء البيت قبــل أن يخرجوا يتعرَّفــون عليها في حياة الناس.

ما أحوجنــا إلى عنــاق هــذه الأمانــي «الأخلاق»، وممارســتها واقعاً تطبيقيّاً في حياتنــا مع كلٍّ من نلقاه فــي الأرض، وعلينــا أن نــدرك أن اســتثمار لحظاتها والعناية بها أوســع طريق إلى عالم الجنان.. وكم من صاحب أخلاق عانق هذه الأماني قبل صاحب الأعمال!.



١٤ ذُو الوجهين

ذُو الوجهين شــخصيةٌ بدأت تنتشر في أوساطنا، وتأخذ موقعها في كلِّ مجالسنا ولقاءاتنا.

أول ما تجدُه يأخذك بالأحضان، ويزفُّ إليك بشائرَ الحــبِّ، وينبِّئك عمَّا يجــد لك في قلبه من مشــاعر الحبِّ! ويرعاك تلك اللحظة بالحبِّ كأنما وجد ضالَّة الهوى بين يديه، حتَّى إنَّك تجزم أنه هو المعني بمثال العرب: «ربَّ أخٍ لــك لم تلده أمك»، ثــم ما تتوارى عنه حتَّى يبدأ يعرِّض ويصــرِّح بحالك، ويهمز ويلمز، ويجهد في تشــويه صورتك بكلِّ ما يملك، وينتهي هذا الموقف ولا تنتهي صوره كثرةً وأثراً!.

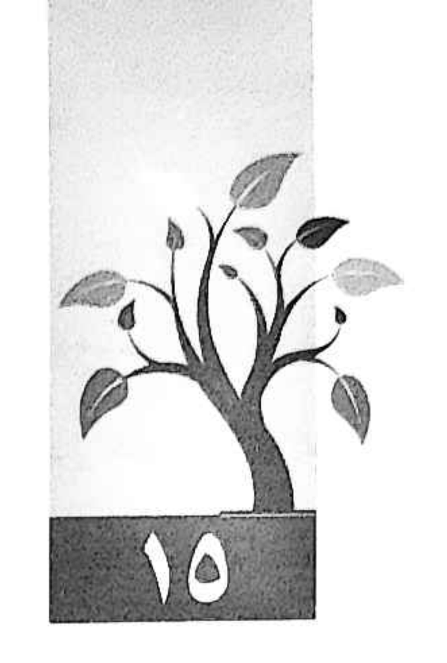
ذُو الوجهين صــورةٌ من صور النفاق قَــلَّ أن يخلو منهــا مجتمع، وتظــلُّ تتكاثر في أوســاط الناس دون

نكير، وصاحبها من شــرِّ خلق الله تعالى في الأرض، كما هو من شــرِّ خلــق الله تعالى يــوم القيامة، وقد قال ﷺ: «**إنَّك تجد من شـــرار الخلق عند الله يوم القيامة ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه**».

مســكين هذا؛ يجهد في الدُّنيا ولا يدري أنَّه شــرُّ خلق الله تعالى يوم القيامة!..

ما أروع أن يكون الإنسان صادقاً معك! إنْ أحبَّك أثنى عليك وبلَّغك رسول الأشواق في قلبه، وإن رأى عليك ما يكره ذكرك في وقــت خلوة، ونصحك في وقت حاجة، وجهد فــي تصحيح صورتك في الواقع بكلِّ ما يملك.





١٥ خائنةُ الأعين

لمَّا كان يوم فتح مكَّة اختبأ عبدُ الله بن سعد ابن أبي السرح عند عثمان بن عفان ﵁ فجاء به حتَّى أوقفه على النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله! بايعْ عبد الله.

فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: «**أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففتُ يدي عن بيعته فيقتله؟**».

فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك؟.

قال: «**ما كان لنبيٍّ أن تكون له خائنة الأعين**»!.

ما أعذب هذا الـدرس في تاريخ اليــوم! «**ما كان لنبيٍّ أن تكــون له خائنة الأعين**»! ومــا أحوجنا إلى الوضوح والشــفافية والصدق حتى في همسات عيوننا في لحظات غفلة الرقيب.

رأيتُ هذا الخُلُقَ - أعنــي: إيماء العين - يجلس في كلِّ صفٍّ، ويقعد في كلِّ مكان، ويشارك في لقاء كثير من الناس، وحقه هذه الكلمــة المتينة «**ما كان لنبيٍّ أن تكون له خائنة الأعين**».

إن المؤمن واضح، ويأتي إلى من يعاشــر من أوسع الطرق، ولا تجده مهما كان الظرف ملحّاً يتســلل إلى محبيه من خلال نفاق العين أو اللسان.

الصدق أعذب خلق في إنســان، ويكبر في حياة إنســان، ويكبر معه الحب في قلوب الناس، وحين يضمر هذا المعنى تضمر معاني الوفاء والأخلاق في حياتنا من أرض الواقع.



١٦ المرأةُ

المرأة زينة مغريـــة تدعو للإعجاب في كلِّ وقت! وســـتظل هذه الزينةُ عالقةً بها ما دامت تمشي على تراب الأرض! ولن تأتي اللحظـــة التي يرغب عنها الإنســـان! إنَّها خُلقت وفيها سرُّ هذه الفتنة: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ...﴾ [آل عمران: ١٤].

ولا تثني الرجل من أن يمـــلأ عينه من هذه الزينة إلا قيمٌ كبرى ترحل بصاحبها للتميّز والتفوّق على هذه الزينة، فيمر بها لا يقيم لها وزناً:

أول هذه القيم: أن يعلم الإنسان أن مسارقة المرأة النظر مسارقة للإيمان من قلبه، واهتزاز لآثار التقوى في نفسه، وضمور للحياة الآخرة في حياته.

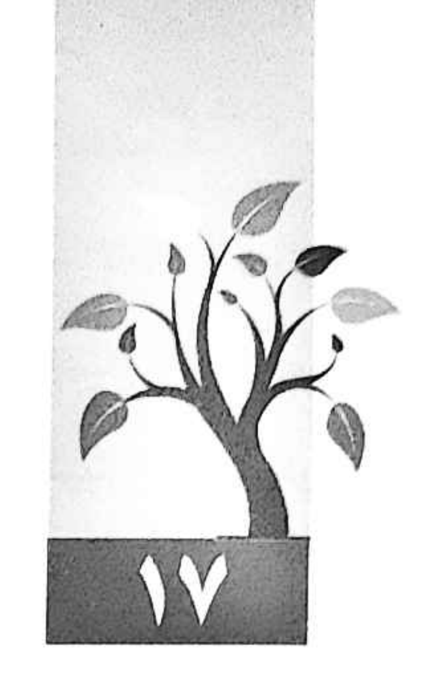
وثاني هذه القيم: أن يعلم الإنسان أنَّ هذه المرأة هي زوجة لإنسان، وأخت لآخر، وأم لثالث؛ فكما أنَّ الإنسان يغار على هؤلاء من الناس، فكذلك الناس تغارا.

وقيمة ثالثة: تبدو في الزينة العظمى؛ تلك التي وعد الله تعالى في الجنان، زينة الحور، وما قاصر طرف هنا إلا نائل من نعيم الآخرة على قدر صبره وخوفه ووفائه هناك، وما طامس هنا في الظل الزائل إلا فاقد لبعض ذلك في عالم الغد..

وقيمة رابعة: تأتي في ضمير حيٍّ، وهمَّة عالية، وإصرار كبير في الترفُّع عن كلِّ ما يدنسه في عالم الأرض، ولا يرضى لنفسه أن تكون في لحظة شهوة أسيرة قلب..

وغالباً إذا وقفت هذه القيم الأربع في قلب صاحبها؛ صار الإنسان رجلاً أمام نزوات الشهوات، وبفواتها يفوت كثير من النعيم.





١٧ القراءة

القراءة متعةُ عين، وســـرورُ قلب، وسعادة إنسان! تعطيكَ من الأثر على قدر ما تأخذ من وقتك، وتهبُ لك من التاريخ على قدر عيشها في قلبك..

إذا رأيتَها في وقت إنســـان فاحسب له من التاريخ على قدر وقتـــه معها، يكفيه من شـــرفها تلك اللحظة ارتباطه بوصف العلم.

وإذا خليت من حياة إنســـان فليس إلَّا الجهل قرين عمر.

القراءة أخطـــر الأدوات في التغييـــر، وأكثرها أثراً في البناء، وأعمقها صلة بالتأثير، وهي أعظم مقومات الحياة أثراً وتأثيراً.

إذا كانت القراءة بهذه المعانـــي والآثار فحاول أن تكون بعضاً من وقتك، وجزءاً من حياتك، وشيئاً معتاداً في يومك، وصدِّقني سترى الفرق الكبير في تفكيرك، وفي عملك، وفي رســالتك في الحياة، وســتكون رقماً مؤثِّراً في البناء.

قد تتأبَّــى النفس فــي بداية المشــروع، وقد تقف رافضة لتفشِّي هذه القضية في حياتك، لكن مع مرور الوقت ســتتقبَّلها، وستتعوَّد، وســتكون لحظات القراءة بعد زمن من التجربة ألذَّ أوقات يومك وحياتك كلِّها، وستخرج إلى الناس بعد طول عشرتها تبلغ آثارك في العالمين.





١٨ الوقتُ

كثيرون يشكون من ضياع الوقت! ويتحسَّرون وهم يبحثون عن الحلول التي تكفل لهم استثمار أوقاتهم كما يشاؤون.

الوقت أربع وعشرون ساعة عند النَّاجح صاحب المعالي، وهو كذلك أربع وعشرون ساعة عند الضائع التائه، لا فرق.

الوقت إذا أردنا أن نحسن استثماره لا بدَّ أن ندرك أولاً قيمته، ونستشعر أثره ودوره في حياتنا، ونعلم أننا مسؤولون عن كلِّ لحظة من لحظاته.

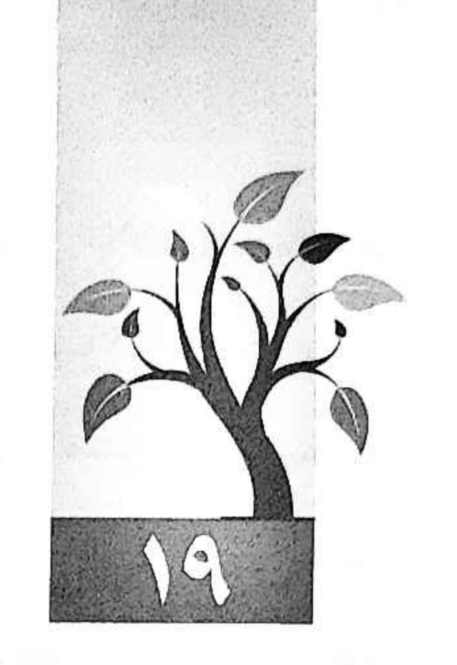
الوقت أعظم الموارد المؤثِّرة في حياة الإنسان، ولن تتحقق للإنسان فيه غاية ويصل إلى حسن إدارة واستثمار له إلا من خلال الدعاء، والإلحاح على الله تعالى أن يكتب له التوفيق فيه، وقيمة مثل هذه حقيقة

بالدُّعــاء والإقبال الصَّــادق على الله تعالى، وحســن التَّوجُّه إليــه، والصلة قبل ذلك حتى تســتوثق منها، ويفتح الله تعالى لك فيها.

ومع ذلــك علــى كلِّ راغب فــي اســتثمار وقته أن يدوّن لــه هدفاً أو اثنيــن أو ثلاثة لنفســه، ثم يبدأ يخطط لإنجــاز هذه الأهداف في وقتــه.. فيضع هدفاً لتنمية ذاته، وآخر لأسرته، وثالثاً لعمله، ويضَع لهذه الأهداف أوقاتاً تُقضى فيها هــذه الأهداف، وعليه أن يضع وقتاً يســيراً لــكل هدف، فيقضي فــي كلِّ هدف نصف ساعة كمثال، ويمضي على ذلك زمناً من عمره، حتى إذا ما أنِسَتْ نفسُه بالعمل، وذاقت اللذة، ولقيت بعض النعيم؛ مدَّ لها، ووسّع في وقت ذلك الهدف..

وعليه أن يحســب كلَّ نجاح وصل إليه ويحتفل به، ويقرأ في ســير الناجحين كلَّ ليلة ولو صفحة واحدة، وليحذر كلَّ دخيل من المعصيــة على يومه، فإنَّ ذلك غالباً مــا يذهب وقتــه ويضيع عليه عمــره، وكم من معصية كتبت على وقت صاحبها الشتات والضياع!.





١٩ الشَّكوى

أكثر ما يقتل الإنسان ويبدِّد وقته الشَّكوى المُرَّةُ من الواقع، والحديثُ السلبيُّ عن الحياة، وتمضي هذه الأفكار في السير في عقل الإنسان، ويمضي معها الهمُّ والحزن والكآبة، حتَّى تضيق حياة الإنسان بواقعه، ويكتشف في النِّهاية أنَّه قتل نفسه قبل أوانها، وصرف من قلبه وفكره ووقته لهذه السَّلبية كلَّ شيء، وضاع هو في النهاية فلم ينجح في رسالة، ولم يحقِّقْ شيئاً كبيراً يستحقُّ الفرح في حياته.

إن غالبَ النَّاس غيرُ راضين عن عملهم، وتغلب عليهم الشكوى، وإذا سألتَ الواحد منهم؛ بادرك بالواقع المرير، وأزمات العمل، وظروفه السلبية، ونادراً ما تجده راضياً بعمله، شاكراً لله تعالى على قدره..

إنَّ هـذا الواقع يدلُّـك على خطر الأفـكار وأثرها في حياة الإنسان، وغالب هؤلاء الشـاكين إما عاشوا في بيئات سـيئة، وإمَّا قضـوا بعضاً مـن أوقاتهم مع أنــاس ممتعضين من أعمالهـم، متبرِّمين من واقعهم، فَسَرَتِ الشكوى إلى نفوسهم دون علم منهم بخطرها، وتوسّعت حتى كانوا هم المسوِّقين لها.

إنَّ علــى كلِّ عاقـل أن يحمد الله تعالــى أولاً على قضائه وقدره، وأن يعلم أنَّ هذه الشكوى هي اعتراض على قدر الله تعالــى، وأن يدرك عظمة ما هو فيه من خيــرٍ بالنظر إلى غيره الذي لم يجد لقمةً يســدُّ بها جوعه، ولا بد أن نفهم قول القائل:

طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنتَ تُريدُها صَفْواً من الأقذارِ والأكدارِ
ومكلِّف الأيَّامِ ضدَّ طباعِهَا مُتَطَلِّبٌ في الماءِ جذوةَ نارِ





٢٠ لا تجعلْ عقلَكَ مزبلةً

من فضلك لا تجعل عقلك مزبلة!.

إنَّ بعضاً منَّا يقرأ فلا تقع عينه إلا على الحوادث السَّلبية والأفكار المعقَّدة، ويجلس في مجالس كثيرة فلا تصغي أذنه إلا للأفكار الغريبة، ويتوسَّط المجلس حاضراً فلا يتحدث إلا بالأوهام.

وتظلُّ هذه الأفكار في بدايتها بسيطة، ثم ما تلبث أن تنمو وتتكاثر وتتحوَّل إلى معتقدات خطيرة مع الزَّمن، ويتمثَّل هذه الأفكار في حياته، ويدافع عنها، ويتحوَّل ذلك العقل إلى مزبلة يرمي فيه الناس مخلفات الأفكار، فتجد مكاناً رحباً لاستقبالها وتبنِّيها والدفاع عنها، ويتحوَّل العقل من كرامة يمتنُّ

اللّٰه تعالى بها على الإنسان، إلى مزبلة تستقبل كلَّ سيِّئ في الحياة.

إنَّ الواجبَ على الإنسان ألَّا يصبح أسيراً لفكرة يقرؤها من أول وهلة، أو كلمة يسمعها دارجة في مجلس من المجالس، وإنَّما عليه أن يحاكم كلَّ فكرة إلى الدَّليل والواقع والتجارب؛ ليعيش كريماً كبيراً.

إنَّ اللّٰه تعالى خلق لك عقلاً لتحكم به على الأشياء، وتختار منها ما يصلح لحياتك، وتتجاوز به عثرات الأقوال والأفعال، فإذا ما استسلمتَ لكلِّ فكرة، وانسقْتَ وراء كلِّ كلمة، وكوّنتَ ثقافتك من أحاديث النَّاس دون وعي؛ تحوَّلَ عقلُكَ إلى مزبلة يرمي فيها النَّاس مخلفات الأفكار والأقوال والأحداث.





٢١ الشَّكُّ والوهمُ

من أكثر الأشياء خطورةً في حياة الإنسان مرض الشَّكِّ والوهم، يعرض لإنســان في بيتــه فما يزال به حتى يطلِّق زوجه، تراه يقوم لكلِّ مكالمة، ويهتف قلبُه بكلِّ رســالة جوال، وما يزال يتربَّص الفرص حتَّى يقع على جوال زوجه في ســاعة غفلة منها، ويذهب يبحث عن ذلك الوهم.

وقد يجد رســالة حبٍّ وشوق ومشــاعر زميلة من زميلات العمل، فيضعها الوهــمُ له في صورة رجل، ويذهب يجوب به في عالــم الخيال، وقد يأخذ هذا الرقــم ويتَّصل عليه، ويــردُّ عليه زوج تلــك المرأة فيصل الحــال إلى الطلاق، وتنتهــي قصة زواج بدأ بالحبِّ بطلاق قام على الوهم، ويكتشف الرجل بعد

زمن من فراقهما أنَّ القصة كلَّها كانت مجرَّد وهم لا واقع له.

ويتفشَّى هذا الوهم في حياة ذلك الإنسان، فيخرج إلى دائرة العمل، ويحسب على مسؤوله كلَّ تصرُّف، ويترصَّد لكلِّ خطيئة، ويظلُّ الوهم يصوِّر له صورة من تخطيط ذلك المسؤول لفشله وإخفاقه، حتَّى تنتهي القصة كلُّها بالنزاع والخصام والفراق، وقد يكتشف في نهاية القصة أن ذلك كلَّه وهم لا علاقة له بالواقع.

ويمضي كذلك هذا الوهم إلى علاقة الإنسان بالآخرين؛ فلا تستقرُّ له حياة، ولا يجد معنى الطمأنينة التي يجدها المؤمن في حياته! وكلُّ ذلك من أجل الوهم.

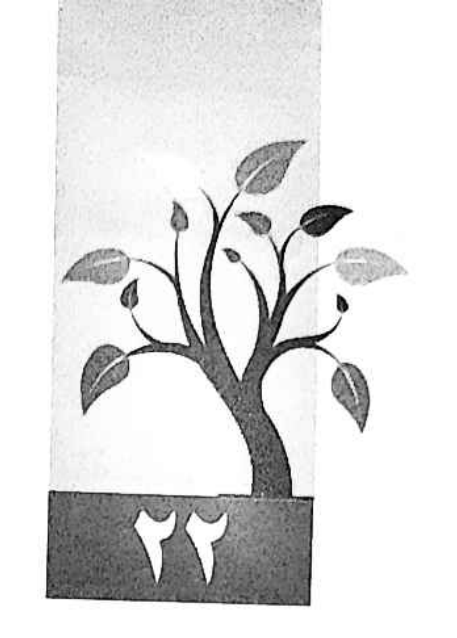
وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال ﷺ: «**إيَّاكم والظن، فإنَّ الظَّنَّ أكذبُ الحديث**».

وقال ﷺ: «**إذا قدم أحدكـــم ليلاً فلا يأتين أهله طروقاً**».

وكلُّ ذلك محاصرة للوهم من أن يتفشَّــى في حياة إنسان، فيكون سبباً في الفوضى والضياع.





٢٢ الجديدُ

طُبعت نفوسنا على حبِّ الجديد، فمهما كانت أشياؤنا الَّتي نعيشها جميلة رائعة، تظلُّ أعيننا ترنو إلى كلِّ جديد تراه لأول وهلة، وتراها تزهد في كلِّ ما في يدها، وتظلُّ ترقب ذلك الجديد الذي تراه في أيدي الناس.

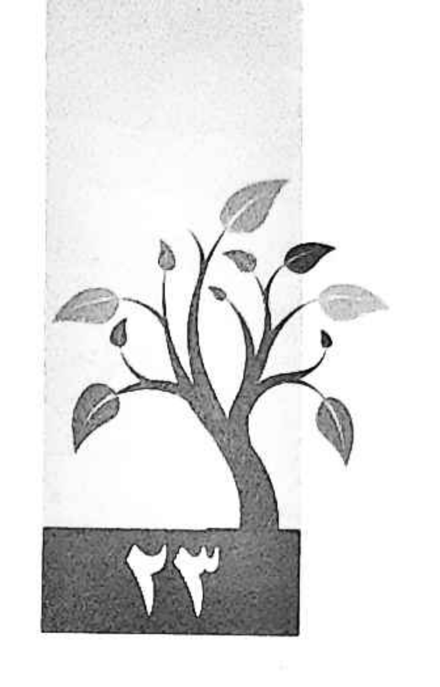
إنَّ الإنسان يبني بيته ويُعنى به، وتظلُّ عينُه مشغوفةً ببيوت الآخرين وما فيها من جماليات، ويشتري هاتفه المحمول عن قناعة، ثم ما ترى عينه هاتفاً آخر إلا زهد في هاتفه وبذل من أجل الوصول إلى هاتف الآخر ما يملك، وربَّما استدان لشراء ذلك المُشاهَد، وهكذا تظلُّ نزعة الجديد تحطِّم كلَّ شيء بهيج في نفوسنا، وتجعله بالياً قديماً لا قيمة له في الحياة.

إنَّ هذه النَّظرة إحدى المخاطـر التي كوَّنتْ بعضاً من الديون التي ينوء بها الإنسان في حياته..

إنَّ علينا أن نبتهج بما فــي أيدينا، وأن نرضى به، وأن ندرِّب أنفسنا على الاستمتاع به.

وفي سُـنَّة النبيِّ ﷺ ما يؤكِّد على هـذه اللفتة في قوله ﷺ: **«انظـروا إلى من هو أســفل منكم، ولا تنظروا إلى من هــو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»**.





٢٣ العنايةُ بالنَّفس

العناية بالنَّفس والاهتمام بها فضيلة من فضائل ديننا الحنيف، وعناية الإنسان بأناقته دليل على فهمه لسعة مفهوم العبادة في حياته.

وفي الحديث: «**إنَّ الله يحبُّ أن يرى أثرَ نعمته على عبده**».

ودِيننا يحبُّ أن يرى الإنسان في الصورة اللائقة به تكريماً وتعظيماً؛ قال ﷺ: «**إنَّ الله جميل يحبُّ الجمال**».

إنَّ على كلِّ إنسان أن يحتسب في هذا الباب، وأن يجهد أن يكون مثالاً للمسلم الجميل الرائق في أعين الآخرين.

إنَّ ديننا يشـجِّع على عناية الإنسـان بنفسه؛ لأنَّ في ذلك إظهـاراً لنعمـة الله تعالى، وشـكراً لها، واعترافاً بفضل الله تعالى عليه، وتحقيقاً لعبادة الله تعالى، وسـيظل قضاء كلِّ وقت في هذا المفهوم هو قضاء وقت في طاعة الله تعالـى، وتعبّد لله تعالى بما أراد.

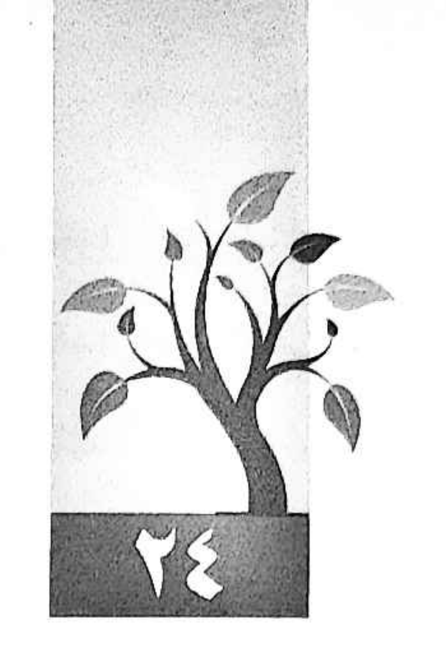
وفـي المقابل يجـب ألا يتحوّل هـذا المفهوم إلى مشـكلة، فيتحوَّل من سعادة إلى مشـقَّة ظاهرة؛ كمن يتكلَّـف كلفة ظاهرة، ويأخذ منه هـذا المفهوم أوقاتاً كثيرة، ويجهـد من أجل الخروج بصـورة معينة جهداً مضنياً وشـاقّاً، ويصبح العناية بهـذا المفهوم مجلبةً للضِّيق والحرج والمشقة على صاحبها.

وقـد رأيـتُ صـوراً كثيرة تـدلُّ على سـعة الزمن المسـتقطع في إظهار الصورة التي يريدها الإنسـان لنفسـه أمـام الآخرين، وتظل هـذه الصـورة مع ما حقَّقتْ للإنسـان من بهجة أمام النَّـاس صورة داعية للغمِّ والمشقَّة والتعب في أوساط البيوت.

إنَّ علينا أن نوسِّـع فـي دائرة هـذا المفهوم، وأن

نحتســب في كلِّ لحظة نخرج فيها متجمِّلين في أعين الناس، وعلينا في الوقت ذاته أن نرضى بما وهب اللّٰه تعالى لنــا، وألا نغالب خلق اللّٰه تعالــى بصورة تدعو للمشقة.





٢٤ الصَّدِيق

قد قيل: «اختيار الإنسان قطعة من عقله».

وليس هذا في رقعة كتاب أو اختيار مقروء فحسب، وإنَّما في كلِّ شيء.

وصديق الإنسان ينبغي أن يكون أولى ما يؤخذ من هذا المعنى!.

إنَّ أولى الأدلة على ذات الإنسان هو صديقه الذي اختاره في حياته، وقد ذهب العرب يقولون: «الطيور على أشكالها تقع».

وفي حديث نبيِّنا ﷺ: «**الأرواحُ جنودٌ مجنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**».

وصحبة الإنسان لآخر دليل إلف وحبٍّ وتمازج في

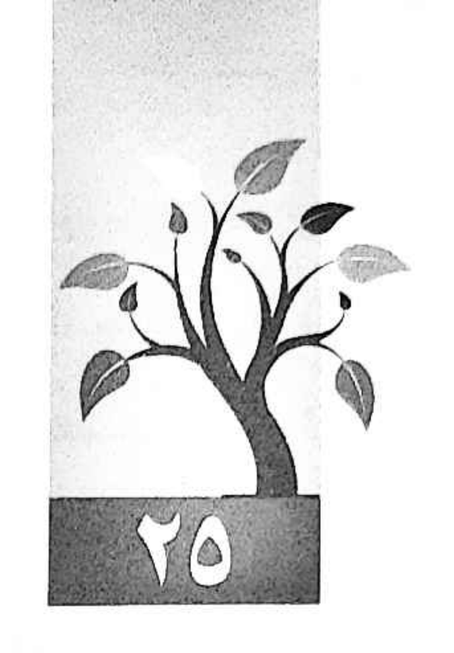
الصِّفات، وإذا كان كلُّ إنســان مســؤول عن اختياره، وهذا الاختيار من أعظم الأدلة على كمال عقله فينبغي أن يعنى بمن يختاره رفيقاً له في حياته..

وفي دين الله تعالى ما يشير إلى خطر هذا الجانب في حياة الإنســان في قول نبيِّنــا ﷺ: «**مثلُ الجليس الصَّالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير**».

إنــه يمكن لكلِّ إنســان أن يســتدلَّ علــى آخر من صحبته ورفقاء طريقه، ومســألة بمثــل هذه الخطورة على كلِّ عاقل أن يضــرب لها من ســنام اهتمامه ما يجعل ذلك الاختيار موفَّقاً في حياته.

إنك حين تقرأ ســيرة خليلين تقف في النِّهاية على كثير من الصِّفــات التي انتقلت مــن بعضهما للآخر، وتشرَّبها كلٌّ منهما دون وعي، ويمضي الزَّمن وتمضي بعض الأخلاق بالرســوخ وتأخذ حظَّها مــن النفوس، وتتمكَّــن دون أن يــدري صاحبها بعاقبــة الآثار التي تتركها في حياته.

ولكلِّ ذلك لا بد أن يجهد الإنسان في اختيار صديقه حتَّى يكون ذلك الاختيار من أعظم الأدلة على عقله.



٢٥ من صُوَرِ العقوقِ

صورٌ كثيرة تلك الَّتي يأتـــي بها الواقع، ويدفعها على أنظارنا في كلِّ لحظة.

ومن أكثــر الأمثلة في ذلك صــور العقوق وهي تلبس ثوب المدنية الجديدة!..

لقد كان العقوقُ فـــي ذهن أيٍّ ســامعٍ كلمةً رديئةً، وتصرُّفاً مشــيناً، وتفشّــت صــور جديدة مــن العقوق تدفعهــا المدنيــة والمادية، صــور أبنــاء يدفع لهم الدُهم من عرقه ما يملك، ويعيش مديوناً كلَّ حياته، وقد يشــارف الســجون من أجلهم، ويبذل لهم كلَّ ما يستطيع، وفي النِّهاية يصل الأبناء إلى لحظة النِّهاية، ويعانقون شرف المستقبل، ويرى الوالد لحظة نجاحه في بناء مستقبل ولده، وتأتي النهاية بأسوأ الأحلام.

يركب ذلك الولد سيارة فارهة، ويسكن بيتاً رائعاً، ويتزوَّج فتاة الأحلام، وينسى كلَّ ما جادتْ به الأيام من والده، ويدفن ذلك العرقَ بمساحات الجهل ونكران الجميل، ويذهب يعيش لنفسه وزوجه وبيته، ويحيا ذلك الوالدُ أو يموتُ سيان في عقل هذا الولد وحياته، لا فرق.. وتمتد هذه الصورة إلى أمِّه التي بذلتْ كلَّ ما تملك من أجل لحظات النِّهاية، وفي النِّهاية نسيها لحظة وصول فتاة الأحلام في حياته، وذهب يكدُّ ويبذل ويجهد في إسعاد هذه الفتاة، وتلك العجوز طواها النِّسيان من حياته، وغابت عن ناظره، وظلَّت هذه المسكينة لا تملك سوى الدموع تذكِّرها كلَّ لحظة بفوات ابنها من حياتها.

إنَّها صور العقوق في ثوب المدنية، صور لا تلبس كلمة، ولا تحمل لفظاً؛ لكنَّها في ثوب فضفاض من الإهمال والنسيان، صور باتتْ تمتدُّ في مساحات كثير من الشباب، وتمتدُّ معها مساحات الألم والبكاء والشقاء.



٢٦ عوائد الصَّبر

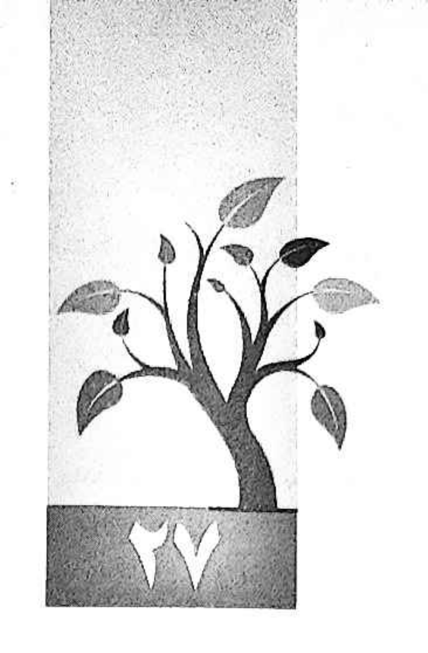
كلٌّ منَّا يؤمن بالموت، ويعلم أنَّ لحظته قادمة في حياته..

لكنَّ الغريبَ أنَّ هذه الحقيقة تظلُّ صورة ذهنية لا واقع لها في حياة صاحبها.. نؤمن بها في الظاهر، فإذا ما جثمت بحجمها في بيوتنا أنستنا كلَّ معالم الإيمان الَّتي كنَّا نتحدَّث عنها قبل حلولها؛ ذلك لأنها مصيبة تروع صاحبها، وتهجم عليه بكلِّ ما فيها من معاني الفراق، وغالب الخلق لا يثبتون أمامها، ويسلون بعد ذلك سلو البهائم.

إنَّ علينا أن نتعاهد الإيمان في قلوبنا، وأن ندرك حقيقة هذه الحياة، وكلَّما علا شأن الإنسان في الإيمان تحمّل مصائب الدُّنيا في فراق من يحبُّ.

وكلُّ من تراه في عرض هذه الحياة مهما بلغ حنين حبِّه ومشاعره في قلبك هذه اللحظة ستأتي اللحظات القادمة بفراقه ووداعه، وسيترك هذه الحياة وهو ألصق ما يكون بها، وسيبكي كثير من المحبِّين في وداعه، وفي النِّهاية تصبح هذه الذِّكرياتُ ذكرياتٍ سالفةً، وتموت أحداث كانت مثيرة، ويبقى الإنسان في صراع مع حقيقة هذه الحياة حتَّى يلقى الله تعالى يوم القيامة.

وإذا كانت المسألة كذلك؛ فعلينا أن نستبقي بعض ما يرد علينا لحظات الموت، وأن نعالجه بالصَّبر، وأن نتقوَّى على دفع ألم المصائب بلذائذ الصَّبر، وأن نسأل الله تعالى الثباتَ في هذه المواقف، وعلينا أن ندفع أثر المصائب بأجرها عند الله تعالى، واحتساب آثارها من جهة، ومن جهة أخرى ببرهان العمل على القول، وقد بلغ ببعض الكبار أنه تصبَّر في رحيل ابنه بنسخ كتاب.



الحُبُّ

الحُبُّ كلمة جميلة يعشقها كلُّ إنسان، ويبذل فيها ومن أجلها ولها أجمل لحظات حياته.

ويظلُّ كلُّ إنسان يطارد هذا المعنى في كلِّ مكان، وتظلُّ هذه المشاعر غريزة في حياة كلِّ إنسان.

إنَّ ممَّا يعطِّر هذه الحياة، ويزيد في رقعة جمالها: أنَّك تجد إنساناً يعيش هذا المعنى حقيقة، فتجده يمنحك معناه وروحه قبل أن يهديك شيئاً من عبارته.

إنَّ الحبَّ قبل أن يكون كلمة تأتي على مشاعرك بالمتعة؛ هو عمل مشحون بالمشاعر يأتيك أحوج ما تكون إليه..

ما أجمل أن تتحوّل مشاعر الحب في قلب الزوج

أو الزوجــة إلى أعمال تمارس وفي أعطافها مشــاعر الحبِّ الفياضة!.

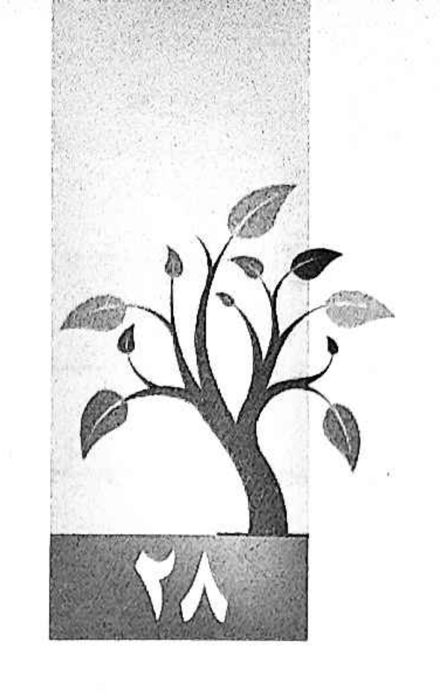
وما أروع أن تجد في حياتك رجلاً يعينك في ضائقة وهو يشعر أنَّه يعين نفسه، ويجد السرور في قلبه تلك اللحظة بمعونتك كأنما يجد أفراحه!.

وذلك الذي يشعر أنَّ إنجازك في الدُّنيا هو إنجازه لا فرق، هذا هو معنى الحبِّ الحقيقيِّ الذي نحتاج أن يتدفَّق في قلوبنا جميعاً.

وحين تمتلئ الدنيا من هذه الصور الرائعة المكتظَّة بالمشاعر؛ نجد طعم الحياة الجميل في واقع الأرض.

هذه معالــم الحبِّ الَّتي نبحث عنهــا اليوم بكلِّ ما نملك، ونجهد في ســبيل تحصيلها بكلِّ ما أوتينا، ولم تَعُدْ كلمة الحبِّ العابرة من لســان إنســان كافية في تذوُّق معاني الحبِّ التي نريد.





٢٨ الثِّقةُ بالنَّفْس

الثِّقة بالنَّفس أعظم المقوِّمـــات الَّتي تجعل من الإنسان كبيراً مؤثِّراً، وهذه الثقة غالباً ما يصنعها الإيمانُ ويجعلها حيةً في قلـــب صاحبها، لا تذبلها العوائق مهما كانت!.

إنَّ أكبر ما يدفع هذه الثقـــة كتاب اللّٰه تعالـى وهو يعلِّق الإنســـان بربِّه، ويجعل كلَّ حياتـــه مقصورة على أمره وقدره وشـــرعه، وفـــي المقابل يمكِّنـــه من إدارة حياته، ولا يجعل لأحد من الخلق سلطةً عليه.

ولو لم يكن في السُّـــنَّة إلا حديثُ رسول اللّٰه ﷺ: «**واعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكـــن ليصيبك**» لكان كافيـــاً في بنائهـــا في كلِّ موقف من المواقف.

إنَّ على كلِّ إنسان أن يؤمن أنَّه هو المسؤول عن بناء هذه الثقة في حياته، والمواقف الَّتي يتعرَّض لها كلَّ يوم كفيلة بتدريبه على بنائها واستوائها في نفسه.

لقد كان التاريخ الأمريكي حافلاً بالتمييز العنصري بين البيض والسُّود، وكانت نهاية هذا التاريخ على يد امرأة سوداء جلست في أحد الأيام في حافلة من الحافلات وفي المقعد الخاصِّ بالبيض، وحاولوا إقناعها أن تترك المقعد لأهله، والمكان لأصحابه، فرفضت أن تقوم من مجلس اختارته بنفسها، وحقُّها القعود في المكان الذي تختار، فتغيّر لهذا الموقف تاريخ أمريكا وانتهت العنصرية على يد امرأة.

إنَّ الإنسان هو الذي يضيِّع حقه، ويترك مكانته في نفوس الناس، وإذا كان الواثق يكتب لنفسه حظَّها من الثِّقة، فكذلك الإنسان هو ذاته الذي يسلب حقَّه ويضيع هذا المعنى الكبير لنفسه.

إنَّ الثقة لا تعني الفوضى، والتطفُّل على الآخرين،

وســوء الأدب في التعامل، بقدر مــا تعني القدرة على التعبير عن رأيك الصَّحيح في كلمة رائعة، وأدب جم، والقيــام بواجباتك الكبــرى أمام المخالــف في أدب وفن.

إن المعتقــد أعظــم مــا يبنــي الثقة فــي نفس الإنسان، وحين يتعلَّق الإنسان بربِّه ويصدق في ذلك يتضاءل النَّــاس في عينه مهما بلغت مســؤولياتهم، ويصغرون؛ حتَّــى كأنه لا يرى أحداً أمــام معتقداته ومسؤولياته.

وقــد قــال ﷺ توكيداً لهــذا المعنى وبعثــاً له في النفــوس: «**واعلم أنَّ الأمَّــة لو اجتمعــوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشــيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف**».

وإذا قام المعتقــد في القلب فلا بــدَّ من التدريب على بناء هذه الثقة، وكســر حواجز الخــوف في كلِّ لحظة وفي كلِّ موقف.

ولم أجد أكثر أثــراً في بناء الثقة بعد المعتقد من خوض غمار المغامرات، والجرأة على كلِّ موقف، ودفع النفس مــن التردد إلى اقتحــام كلِّ مجهول، وقد أثّر فيّ قول القائــل: «الحياة مغامرة جريئة أو لا شــيء» وهي كذلك!..





٢٩ الحياةُ واسعةٌ

من المسائل المقلقة لكثير من النَّاس الاشتغال بمقارنة نفسه مع الآخرين، حتَّى إنَّك لتراه ضاوياً متألِّماً في كلِّ لحظة نجاح يسمع بها لأي أحد، وكلِّ لحظة فرح يعيشها غيره.

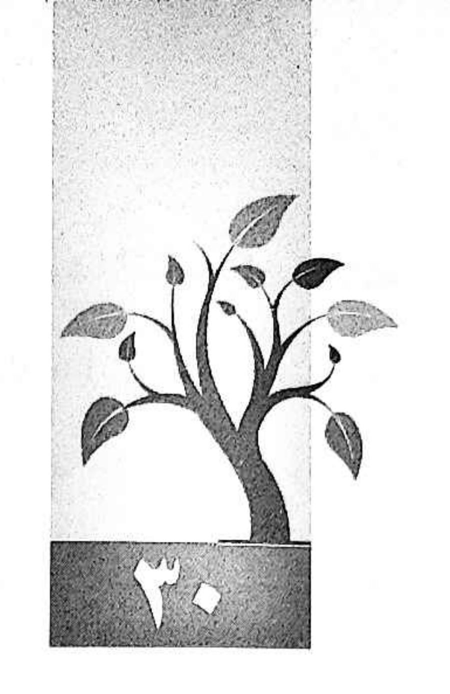
إن رأى صاحب مال فاقه؛ تألَّم وقعد شاكياً لزمانه، وإن رأى صاحبه عانق نهاية حلم عاشه؛ ندب حظَّه وبكى مستقبله، وكذلك يظل يكوي نفسه بأفراح الآخرين.

ويمتدُّ الوقت ويصل الجادون إلى أمنياتهم، ولا يزداد هو إلَّا ألماً وتعباً، ثم تصل المسألة إلى حسد الآخرين على نجاحاتهم، وتظلُّ لحظة النجاح عند إنسان هي ذاتها لحظة الأحزان عند نفسه.

إنَّ الواقع أفسح لهذا من البكاء، ولو كان عاقلاً لزاده نجاح الآخرين همَّة ورفعة، ولجعل هذه النِّهايات والمشاهد التي يراها عند أصحابه وأقرانه من أعظم الحوافز له للوصول إلى أهدافه وأمنياته.

وعلى كلِّ واحدَ أن يدرِّب نفسه على البهجة بفوز الآخرين، والفرح بنجاحاتهم، والتلذُّذ بتقدُّمهم، ولن يكون ذلك حتَّى ندرك أن تقدُّم أي فرد من الأمة في مشوار حياته الشخصية هو تقدُّم لهذه الأمة إلى أمنياتها، **وبدل أن تكون أفراحُ الآخرين إضاءةً للهموم والأحزان في حياتنا، لتكن شعلةً للنُّفور إلى المعالي، وارتكاب الأهوال، وتحقيق آمال الكبار،** ونظلُّ في النهاية مدينين لكلِّ صاحب إنجاز دقَّ جرس الأفراح في حياتنا من جديد.





دَعْهُ يفرح

كم نخسر أبناءنا حين نقارنهم في كلِّ لحظة فرح أو خسارة أو نجاح بالآخرين؟!.

إنَّ كلَّ إنسان فريد في خلقه ومكوناته، ولن يكون نسخةً مكررة من آخر مهما كان، وعلينا أن نفسح لأبنائنا أن يتميَّزوا بالطَّريقة التي يرونها، وفي المجال الذي يختارونه، وأن نتجنَّب بقدر المستطاع حرمانهم لذَّة النَّجاح التي وصلوا إليها بمقارنتهم بالآخرين.

إنَّ ابنك يجب أن يجد لحظة فرحه كلَّ دعم وتشجيع منك، حتَّى لو كان النَّجاح الذي تريده أنت لم يتحقَّق له، يكفيك تلك اللحظة تشجيعك له ودعمك ومساندتك.

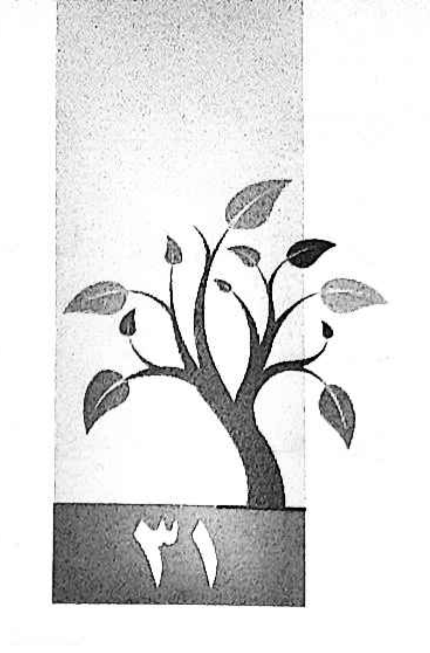
إنَّك حين تسـأل ابنك عـن نجاح زملائـه وأصدقائه وأبنـاء حيِّه؛ كأنَّما تغتـال أفراحه تلك اللحظة، وتشـيِّع جثمان ذلك النَّجاح، وتخلق في نفسـه الحسرة والألم، وكان يمكن أن تشجِّعه دون إلهاب نيران الحسد في قلبه.

إنَّ مقارنة ابنك بالآخرين نبتة سـوء تظلُّ تغريه بالحسـد والبغضاء والكراهيـة لنجاحات الآخرين، وتظلُّ أوسع أمنية لابنك أمنية إخفاق الآخرين، ويمكن أن تسبق هذه الأمنية حتَّى أمنية نجاحه وتفوقه.

لن يجد الأبُ والمعلِّـم والمربي أجمل ولا أروع من أن يشـعر من يربيه بالمتعة بلحظة النَّجـاح، والتلذُّذ بنهايـة لحظات التعـب بالفوز، وعليـه أن يكرّس في نفسه البهجة بكلِّ نجاح حتَّى لو كان بسيطاً يسيراً.

إنَّ هذا المعنى كفيل بتربيته واثقاً بنفسـه، مبتهجاً بنجاحـه، فرحاً بنجـاح الآخرين إلى جانبـه، محقِّقاً لمضمون حديـث نبيِّه ﷺ: «**لا يؤمـن أحدكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**».

وسينشـأ بعد ذلك آمناً مطمئنّاً من عوارض الفشل بإذن الله تعالى.



٣١ التَّركيز

كلُّ نجاح وتميُّز تجده عند إنسان هو مرهون في المقام الأول لفضيلة التركيز، ولن تجد من يحتفل بنجاحه وفوزه في لحظة من لحظات الزَّمن وهو لم يكن على صحبة بهذه الفضيلة الكريمة.

إنَّ التركيز أعظم ما يصنع التقدُّم في حياة إنسان، وهو من أعظم الأدوات أثراً في حياة كلِّ الناجحين.

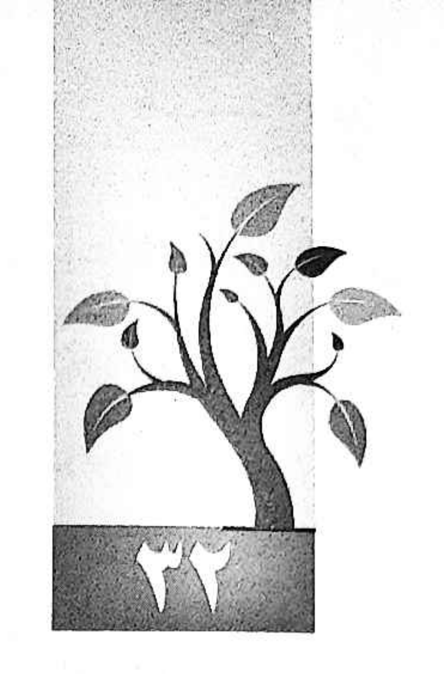
ركِّز على مشروعك وهدفك الذي بنيته لنفسك، واجعلْه نصبَ عينيك، واقتطع له كلَّ يوم من سنام يومك، وسوف ترى كم هي حسنات هذه الفضيلة في حياتك كلها!.

إنَّ غالب ما يأتي الفشل من شتات المشاريع

والأهداف، وتنازعها في حياة صاحبها، وعدم التعرُّف على الأولويات في حياته، فينشأ مشلول الفكرة، ضعيف التَّركيز، وتمرُّ الأيام وتتوسَّـــع المشاريع في حياته فلا يصل لعناق النِّهاية، ولا يجد له مع مرور الأيام هدفاً مكتملاً أو مشـــروعاً ماثلاً، فتذبل همته، ويقلُّ نشاطه، وتضعف حركتُه، ويتوقَّف مع مرور الأيام، ويتأسَّف على لحظات من حياته بعد فوات نصيبه من النجاح.

إنَّك حين تسلِّط ضوءاً على ورقة لفترة أطول، تصل في النِّهايـــة إلى رؤيـــة الحريق الذي يشـــبُّ في تلك الورقة، وحين تقتطع كلَّ يوم من وقتك في حفظ آيتين أو ثلاثة دون انقطـــاعٍ؛ تعانق نهايـــة حلمك في حفظ القرآن الكريم بعد سنوات، وحين تشرع في كتابة كتاب وتضع له وقتاً محدَّداً في يومك، تقف في النِّهاية على كتابك مطبوعاً، وحين تبدأ فـــي قراءة كتاب بصفحات محدودة تأتـــي اللَّحظة الَّتي تختم فيهـــا هذا الكتاب، وكذلك يصنع التركيز على أي هدف في حياتك.

إنَّها فضيلة مغرية في عنـــاق النِّهايات، وأنت مدعوٌّ للتجربة الحيَّة.



قوى مخبوءة

ما زالتْ لديك قوة إضافية غيـــر الَّتي وصلت إليها هذه اللحظة، مهما بلغ نجاحك الذي تحتفل به في هذه اللَّحظات، وتميُّزك، وعطاؤك؛ تأكَّد أنَّ هناك قوة إضافية ما زالتْ بحاجة إلى التحريك والاستثمار في قدراتك.

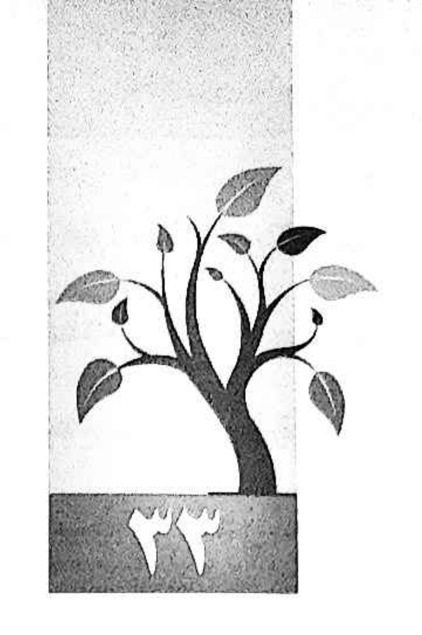
إنَّ مشــكلة كثير من النَّاس أنَّـــه يقف عند خطوات النَّجاح الأولى من حياته، ويتوقَّف عن مجريات الحياة كلِّها ظانّاً أنَّه وصل لهدفه، وحقَّق مشــروعه، واستنفد طاقاته، ومن حقِّه أن يستريح بعد ذلك العناء..

الحقيقة الكبرى التي ينبغي أن يعيشها الإنسان: أنَّ ثمة قــدرات مكنونة، وطاقات كبيرة مــا زالت بحاجة إلى استثمارها، والتحليق بها في الواقع.

كثيـــراً ما نشـــاهد فـــي المســـابقات الرياضية من يحقِّق رقماً قياسيّاً في شـــيء ما، وتأتي المناسبة مرة أخرى فيصل الإنسان إلى رقم أكبر، وتظلُّ تتوسّع هذه المسابقات ويتوسّع معها عطاء الإنسان كلَّ مرة، وهذا يدلُّنا على أن هذه القدرات في كلِّ إنسان بحاجة إلى اســـتفزاز، ورفع ســـقف التحدِّي أمامهـــا، ووضعها في مواقف صعبة كبرى، وتأتي اللحظات بعد ذلك بأجمل المتع في حياة ذلك الإنسان.

إنَّ علينـــا أن نســـتثمر قدراتنـــا وقوانا بأوســـع ما نســـتطيع، وألَّا نضع لهذه القدرات ســـقفَ نهايةٍ مهما كانت تصوُّراتنا عن قدراتنا، وسنقف في النِّهاية على الحقيقة التـــي تؤكِّد لنا أننا نملك فـــي كلِّ مرة قدرة أوســـع من القدرة التـــي هيأتنا للنَّجاح فـــي قضية أو مشروع أو هدف.





اكتشفْ موهِبَتَكَ

اكتشف موهبتك بنفســـك، هذا هو الخيار الذي نملكه أمام مواهبنا الَّتي نتميَّز بها عن الآخرين.

إنك تجد بعضــاً منَّا يُطْبِق النَّـــاس على مدح صفة فيه، والثناء بها عليه، وذكــره بها في كلِّ موقف يأتي إليهــا حديث، ومع ذلك لا يســمح الإنســان لنفســه بالتأمُّل في هذه الصِّفة، وتحريك دواعيها في نفســه، واســتثمارها الاســتثمار الأمثل، ويظلُّ يســمع أحاديث النَّاس الزاكية بهذه الصِّفة، ثم لا تســتثيره ولا تدفع به إلى استثمارها والتحليق بها إلى مكانتها اللَّائقة.

إنَّ الإنســـان ينبغي له أن يكـــون فطناً لمواهبه، وعليه أن يجهد فـــي التعرُّف على هـــذه المواهب بالطُّرق المناســـبة، فإذا مـــا وجدها وتعـــرّف عليها

بصدق؛ كان لزاماً عليه أن يحتفل بها، وأن يشعر بمنتها وأثرها في بناء مستقبله القادم، وأن يخطط لتحقيق آثارها في حياته.

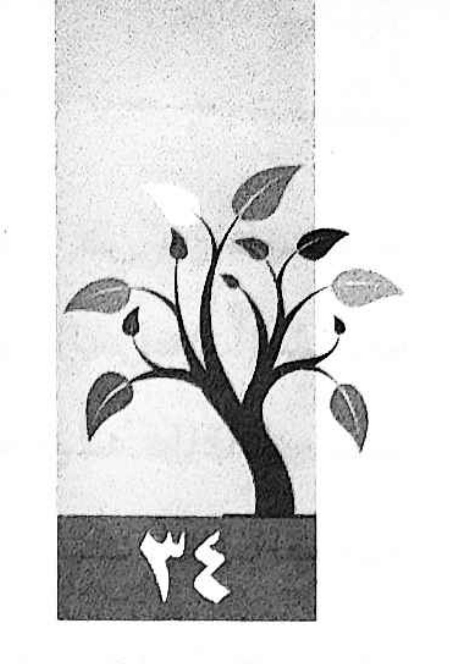
إنَّنا إذا لم نكتشف مواهبنا بأنفسنا قد لا يجود علينا الآخرون بالتعرُّف عليها وإبرازها في نفوسنا، وإذا كان الحال كذلك، فإنَّ على الإنسان أن يستكشف هذه الموهبة بنفسه، وأن يخضعها لاختبارات ذاتية حتَّى يتعرَّف عليها، وأن يشترك في دورات تدريبية أو مراكز متخصِّصة حتَّى يستخرج هذه الموهبة ويحتفل بها.

إن كنتَ لا تعرف قدر الموهبة بحقٍّ، فتأمَّل كيف أن «**عثمان طه**» كان فطناً وهو يكتشف موهبته في الخطِّ العربي، ويستثمر هذه الفرصة في حياته، وما زالتْ به هذه الموهبة حتَّى أصبح أحد كُتَّاب «**كتاب الله تعالى**».

وكم هم قرّاء المصاحف اليوم في كلِّ بقعة من الأرض! وكم ينال ذلك الذي اكتشف هذه الموهبة وحرص على استثمارها في حياته!.

حتى تعلمَ مقدار الموهبة الضَّائعة في حياتك؛ هذه الفرصة التي أحدِّثك فيها الآن هي الفرصة المناسبة لاستكشــاف موهبتك، ومــن ثَمَّ توجيــه طاقاتك لها، والعمل على إشــعال فتيلها، وما يدريــك أنَّها الفرصة التي تحتاج من يطرق عليها بصدق، فيكون فيها الآمال التي يريد الإنسان في حياته كلِّها.





٣٤ فضيلةُ التَّوازن

كثيـرون أولئـك الَّذيـن يجهـدون فـي أعمالهم، ويحرصـون غاية الحرص علـى بلوغ النِّهايـات فيها، وتسـتغرقُ منهم تلك الأعمال كلَّ شـيء، وهي فضيلة كبـرى أن يُعنـى الإنسـان بعملـه، ويجهد في سـبيل الوصول إلـى نهايته، لكن هذه الفضيلـة تتحوَّل دون شعور من ذلك الإنسـان إلى إرهاق نفسـه، واختلال الأولويات في حياته.

تراه يبني هذا المسـتقبل على حسـاب زوجه وبيته وأسـرته، فيأتي بعمله الصَّباحي في أوقات المسـاء، ويستقطع من وقت أسـرته جزءاً كبيراً في بناء عمله، وتتحوّل لحظـات الجدِّ الأولى وفضيلـة الاهتمام إلى دليل فوضى في حياة ذلك الإنسان، فتتوسَّع المشكلات

الأســرية، وتضعف العلاقات مع الأبناء، ويذهب بريق جمال البيوت المطمئنَّة في زحمة العمل.

وقد يكون ذلــك الاهتمام مؤثّراً علــى صحَّة ذلك الإنســان، فتزداد همومه، وتتضاعف مشكلاته، ويبدو في النِّهاية عاجزاً عن الوفاء بمتطلباته كلِّها، إلى غير ذلك من المشكلات الَّتي تؤدِّي في النِّهاية إلى ضعف التوازن في حياتنا اليومية.

ينبغي على كلِّ إنســان أن لا يوسِّع في مساحة عمل علــى عمل آخــر، وأن يجهد فــي خلق بيئة التوازن بين أعمالــه كلِّها، وأن يرتِّــب أولوياته، ويحدِّد وقتاً لكلِّ عمل لا يتجاوزه، والذي لا ينتهي اليوم يجد مســاحته مــن الوقت غداً، ويكــون أكثر تنظيماً ودقــة، وغالب من يعيش في المشــكلات هو من يدخل الأعمال فــي أوقات بعضهــا، وتذهب منه فضيلة التوازن وهو لا يشعر.

وفي السُّــنَّة: أنَّ النبيَّ ﷺ قال لزوجٍ بعد أن شكت منه زوجه ضعف عناية واهتمام: «**فإنَّ لجسدك عليك حقّاً، ولعينك عليك حقّاً، ولزوجك عليك حقّاً**».



٣٥ فضيلةُ الاهتمامِ

فضيلـــةُ الاهتمام مـــن أعظمِ الفضائـــل في حياة الإنسان.

إنَّ كل إنســـان يريد التأثير في الآخرين عليه أن يمنحهم من وقته وجهده وتفكيـــره ما يعينهم على تذوّق معنى الحياة الجميلة الرائعة.

إنَّ لحظات الأفراح التي يعيشها إنسان تظلُّ ناقصة في حياته غير مكتملـــة حتى يأتي ذلـــك الآخر الذي يهنئه بها، ويمـــدُّ في أفراحه، ويزيده إشـــراقاً وبهجة بهذا الإنجاز الذي حققه.

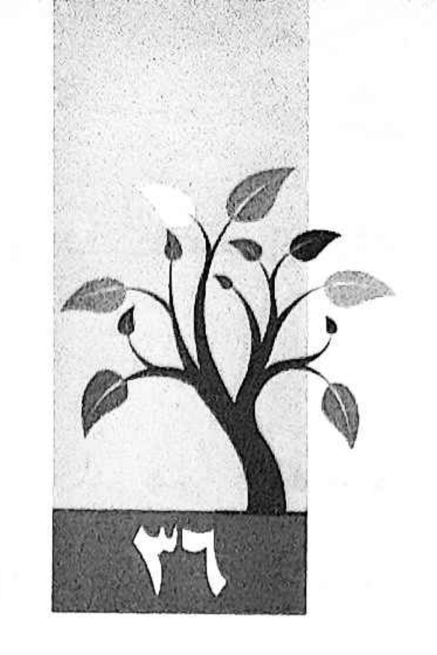
وكذلك لحظات الأحزان أحوج ما تحتاج إلى رفيق درب يرقِّـــق المصيبـــة، ويخفِّـــف من وطأتهـــا، ويعين

صاحبها على حمـل ثقلها، ويجد وجدانـاً يحمل همَّه وحزنه ويخفف عنه بلواه.

إنَّ هذه النفوس القـادرة على منحك هذا الاهتمام هي النفـوس الجديرة بقلبـك حبّاً ووفـاءً وإخلاصاً، وكلَّما ازدادت هذه الفضيلة في حياة إنسان كلما ازداد حجمه في التأثير..

وتظلُّ هـذه الفضيلة من أعظم الأدلـة على جمال الحياة وأناقتها بأمثال هؤلاء، وحين يحرم منها إنسان يحرم من كلِّ شيء جميل، وتظلُّ نجاحاته مهما كانت عريضة في الأرض مثلومة من الكمال، عارية نوعاً ما من لباس الكبار.





٣٦ العَجلة

العجلة من أسوأ الصِّفات في الإنسان، حين تحلُّ بصاحبها توشك أن تحرق قلبه، وتكثر ندمه، وتجعله في حيرة من أمره، وما يــزال صاحبها متألِّماً على كثرة ســقطاته، واقعاً في حياضها المؤلمة ودركاتها المؤسفة، يكفيها سوءاً أنَّها من آثار الشيطان.

وقــد قــال رســول الله ﷺ فيهــا: «**العجلــة من الشيطان**».

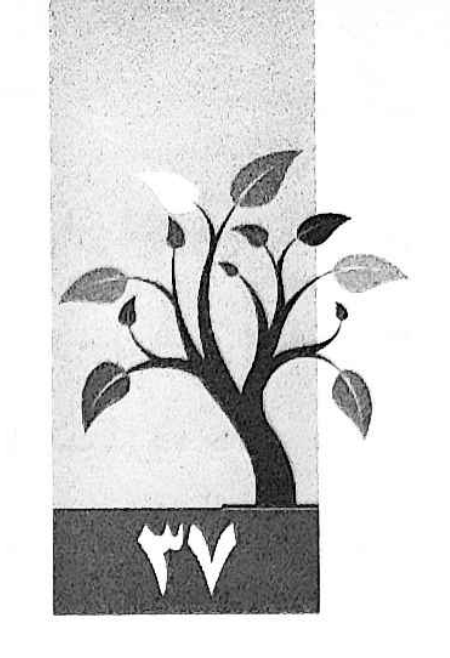
فهو الذي يسقيها من أثره، ويدفع إلى تمثلها في حياة الإنســان؛ لأنَّها في الغالب تحمل نتائج وخيمة على صاحبها، وترتّب عليه آثاراً قبيحة، والشــيطان أحرص مــا يكــون علــى الحيلولــة بين الإنســان والتوفيق.

قد تكون العجلة في كلمة سبقت أوان خروجها فتندم قائلها بعد الفوات، وقد تكون في حبر قلم كتبت به العجلة ما يكوي قلب صاحبه كلَّما تذكره، وقد تكون في مواقف كثيرة تشترك كلُّها في هذا الخلق الذميم.

وقد توسّعت آثارها في زماننا هذا إلى أبلغ صورة، ترى ذلك فيمن يشارك أو يكتب أو يتكلم في مواقع الشبكة العنكبوتية عجلاً، فتكتب عليه أسفاً لا يندمل لأن آثار ذلك كبيرة، ولا سبيل للاستدراك.

وقد علمتْنَا الحياة أن الشاكي إذا جاءك يبكي ويتدفَّق دمه، فلا تستعجل بالحكم له، فقد يكون صاحبه قد فارق الحياة.

العجلة كلُّها ذميمة؛ سواء كانت في كلمة، أو في حبر قلم، أو في قيادة سيارة، أو في حكم على آخرين، ولن تجد لحظة تمدح فيها العجلة إلا في فعل الخير فحسب، وإذا كانت كذلك فالأولى بك أن تتريّث في كلِّ أمورك، وأن تزيدك الأيام طمأنينة، وأن تأخذ من خلق العجلة في نفسك كلَّ يوم ما يوشك بك على عناق فضيلة التأنِّي في حياتك كلِّها.



٣٧ الإنصاتُ

تعلَّمْ فــنَّ الإنصات، وليكن لك مدرســة في كلِّ لحظة من حياتك، وإذا لــم يكن حاجة للكلام فلا تتكلَّم، وإذا لــم يعرِّضك الموقف للحديث الإيجابي فمن الخير لك أن تصمت..

لا يعلم في الواقــع أنَّ صامتاً نــدم على صمته إلا في حالات نادرة وفرص قليلة، وما عدا ذلك فالصَّمتُ فضيلة لا تعدلها فضيلة.

لو لم يكن في الصَّمت إلا أنَّك تخرج ســالماً من تبعة الحديث لــكان كافياً بمدحه والثناء عليه، خاصة إذا أدركتَ حجم قــول الله تعالى في قلبك: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [قٓ: ١٨].

إنَّ من الأدب مع النَّفــس أن يعلِّمها صاحبها جمال الصَّمت، وحلاوته، وروعة آثاره، وأن يدرك كلُّ إنسان أن كلفةَ الصَّمت مهما بلغت أقلُّ من كلفة الحديث.

إنَّ غالب من يتوق إلى الحديث في مجالس النَّاس يزلُّ به اللسان، ويقع من حيث لا يدري، وكم من قتيل أرداه لسانه وكتب عليه الخذلان!.

ما أحوج الإنســـان إلى أن يتعلَّم هــذا الخلق، وأن يجهد في تربية نفســه ألا تتطلَّــع للحديث، وأن تؤثر السَّماع من الآخرين على الحديث إليهم.

إنَّ عــادة الناس أنَّها لا تحبُّ مــن يتطلَّع للحديث، ويشتهيه، وتظلُّ تتنكّب ســماعه كلَّ حين، وحين يكثر صمت الإنسان يأتي بعد ذلك حديثه على فاقة، ويؤثّر في قلب السامع كالغائب القادم على قلب حبيبه.





٣٨ كُن إيجابيّاً

استثمرْ اللَّحظات الإيجابية عند الآخرين، وادفعها للظهور، واجهدْ في إبراز كلِّ صورة تراها للفضيلة؛ فإنك بذلك تبني الفضائل، وتوسِّع في دائرة الخير.

إنَّ الإيجابـيَّ يفرح بكلِّ خلق جميـل عند الآخرين، ويعطـي صاحبَـه ما يسـتحقُّ مـن الثناء فـي الوقت المناسب.

وتظل ملاحقة الجوانب المشـرقة في حياة النَّاس، والحرص على توسـيع أثرها، ومدِّ جمالها، خلقاً رائعاً يدلُّك على متانة خلق صاحبه، وروعة نفسيته.

وفي الأصـل لا يفعل ذلـك إلا قلوبٌ كبيـرةٌ تفرح بنجاح الآخرين، وتشرق نفوسهم بإنجازاتهم، وتحرص

على مدِّ الجوانب المشرقة في حياتهم، وتدفع بهم للتألُّق والتأثير في حياة الناس..

قد لا يتصوَّر من يستثمر هذه اللحظات في حياة الآخرين كم هي عوائد الخير عليه! وكم هي الآثار التي ينالها من إشراق هذه الأخلاق في نفوس أصحابها!.

كم من كلمة لقيتْ وقتاً مناسباً في قلب سامعها فنفخت فيه آثار الخير! وكم من عمل صغير استقبله صاحبه بالفرح حتَّى عاد أكبر ما يكون!.

كنْ إيجابيّاً في بيتك، وفي مسجد حيِّك، وفي رقعة العمل، وحتَّى في لحظات الطَّريق، واعلم أن أثرك بالإيجابية أوسع ممَّا تتصوَّر، وأكبر ممَّا تحلم، وستقف يوم القيامة إلى حسناتٍ جمعتْها لك هذه الفضيلة، وشيَّدتها مع مرور الأيام.





٣٩ اترِكْ أثراً

الإنســـانُ بقدر آثاره الَّتي يتركهـــا في الأرض، والكلمةُ الجميلةُ دليل على جمال صاحبها، وحســـن اختيار الألفاظ فنٌّ وذوق وأناقة.

وكم مـــن كلمـــةٍ طيِّبةٍ ذهبـــتْ بصاحبها فـــي عداد الكبار، ولا تكلِّف ســـوى لحظة، وتتـــرك في قلب من تلقاه أعظم معاني الحبِّ والود والصدق.

ما أجمل أن نترك في كلِّ لقاء كلمةً فوَّاحةً كالعطر الشـــذيِّ! ونخلِّف وراء ظهورنا فعلاً جميـــلاً! ولا نظن أن قارورة العطر هي الأقدر فحســـب على ترك الريح الرائعة بعد رحيلهـــا، بل الكلمة الجميلـــة تصنع أكثر من ذلك، وتكتب حظَّها ليس في فضاء عابر يتغيَّر كلَّ وهلة، وإنَّما في قلب إنسان ربما تعيش معه أبد الدهر.

إنَّ كلمة واحدة يتركها الإنسان في لقاء زوجه قد تكتبُ له حياة عرس، وكلمة واحدة يتركها خلفه وهو خارج من بيته تظلُّ تشرق بالحبِّ في ذلك البيت، وكلمة واحدة يهديها الإنسان لعامل مجهَدٍ في الطَّريق قد تجعل من ذلك العرق لذَّةَ عُمُرٍ في حياته كلِّها فيما بعد!.

ما أجمل أن نترك وراءنا في كلِّ لقاء كلمة جميلة تبعثر مشاعر صاحبها بالأفراح! وما أجمل أن نمنح كلَّ من نلقاه هدية عاجلة في ثوب كلمة رائقة رائعة!.

ماذا يكلِّفنا حين نجد طعاماً طيِّباً أن نقول لصاحبه: ما أروع طعامك؟! وماذا يكلِّفنا ونحن نأخذ كوبَ الشَّاي من صاحبه أن نقول له: ما أجمل هذا الكوب من يدك؟! وما أجمل أن نستقبل كلَّ إنسان وعلى ألسنتنا كلمة جميلة نستلُّ بها ظروفَ التَّعب والمعاناة من حياة صاحبها.

على كلِّ إنسان أن يحاول جاهداً أن يتركَ كلمة طيبة في كلِّ لقاء يجمعه بالآخرين، وأن يجهد في تدريب نفسه وتعوديها على هذه الرسائل الإيجابية،

وأن يكــون مصــدر إشــعاع للآخريــن، وســتظلُّ هذه المعاني كفيلةً بمدِّ الخير والحبِّ في واقع الأرض.

كم أثنت هذه الكلمة عاملاً أوشك على ترك عمله! وإنســاناً قد حان فــي ذاكرته طلاق زوجــه! وأوقفت ثالثاً عن الانتقام لنفسه! وكتبتْ على رابع حياةً حافلةً بالنَّجاح!.

هكذا وأكثر تصنــع الكلماتُ الجميلــة الَّتي نخلِّفها وراء ظهورنا، وقد لا نشــعر بهذه الثمــار الكبرى في الحياة كلِّها، لكنَّ الله تعالى يدري بها، وسيخلفك ما ترجوه وأكثر من ثمارها.





٤٠ الأشياءُ الصَّغيرةُ

اهتمَّ بالأشـــياء الصَّغيرة في حياتـــك؛ تعاهدْها بالسُّقيا، واصنعْ منها شيئاً كبيراً في الواقع.

إنَّ معظم الأشياء الكبيرة في حياة الإنسان هي في بدايتها أشــياء صغيرة تجمَّعتْ فكوَّنتْ مع الزمن شيئاً عريضاً فــي حياته، والاهتمام بهذه الأشــياء هو صيدٌ ثمينٌ مع مــرور الأيام، وكم هي الآثــار الكبرى التي يتركها ضعف الاهتمام بهذه الأشياء الصغيرة!.

إنَّ العلاقة بين الزوجيــن لا تنتهي بالطَّلاق فجأة، وإنَّما تتفشَّــى فيها هذه الأشــياء الصَّغيرة وتنمو دون وعي بآثارها القادمة، ويظنُّ كلٌّ من الزَّوجين أنَّ هذه الأشياء لِيُسرها وبساطتها لا تصنع الفراق، ويتفاجآن في النِّهاية بالحقيقة المُرَّة: الطلاق.

وقُلْ مثـل ذلك في أيِّ علاقة بيـن اثنين؛ تنمو في عرض الطَّريق مشـكلات يسيرة بسـيطة لا نهتمُّ بها لقلَّـة حجمها وأثرها الواقعي، وننسـى أنَّهـا تنمو مع الزمن، وتتفاعل مـع الأحداث، وتتلاحـق مع الواقع، حتَّى تحدث الفرق المهول في حياتنا.

وقُلْ مثل ذلك فيمن يشـعر بـآلام تفاجئه، أو يعلم حقيقـة مـرضٍ يعانيـه، ويظـلُّ يتباطأ فـي علاجه، ويسـتهين به حتَّى يكبر ذلك المرض ويتوسَّع ويصبح من الخطورة بمكان، ويترتَّب علـى ذلك من الأخطار ما لا يفوت عاقل.

ومثل ذلك السـيارة التي يبدو فيهـا بعض الخلل، ويرى الإنسـانُ أنَّه شـيء معتاد لا يمثِّل خطراً، ويظلُّ يمضي في سـيارته والشـيء الصغير يـزداد حجمه، وتتوسَّع دائرته، حتَّى يأتي بالحوادث الكبار.

وكم من إهمالٍ في الأشـياء اليسـيرة كانت نهايته أسوأ ما وجد الإنسان في حياته!..



٤١ وَهْمُ المستقبل

الخــوفُ من المســتقبل، والرَّهبة مــن القادم؛ أمراضٌ متفشِّية في حياة كثير من الناس.

تجـد الواحد من هؤلاء أول ما يشـعر ببـوادر ألم في جسـده؛ ركبه الوهمُ، وتغشَّـاه الخوف، وذهب به القلق كلَّ مكان، تراه ينوي الكشف الطِّبِّيَّ على حالته، فيتذكَّر المرض، فيترك ويقعد خوفاً من اكتشاف حقيقة غائبة، يتحسَّس أمراض النَّاس، ويعرف شكواهم، وإذا وجـد بعض تلك الشـكوى في يوم من الأيـام ارتفعتْ نبضاتُ قلبه، وزاد الوهم في حياته، وقعد في كثير من اللَّحظات يشكو واقعه، ويعتب على زمانه.

يعيش وهماً عريضاً في حياته أمام كلِّ ألم، ويرصد لكلِّ شـكوى أعراضاً من الخوف والرهبـة والمعاناة،

تراه يمنع نفسه المُتعة، ويترك لأجل الخوفِ كلَّ شيءٍ جميل في حياته خشـية هـذا المرض، كالـذي تراه يترك «السُّكَّر» بالكُلِّية فلا يجد طعماً لمشروب خوفاً من مرض السـكر، ويشـتهي طعاماً معيناً أو مشروباً مرغوباً ويتركه خِوفاً من القادم الجديد في حياته.

وهكذا تظلُّ حياة الإنسان كلُّها في قلق وهمٍّ وخوف وترقُّب، ويموت مثل هذا ألف مرَّة قبل أوانِ أَجَلِهِ.

مـا أحوجنا في هـذا الزمـان إلى تجديـد معاني الإيمان بالقضـاء والقدر في حياتنا! مـا أحوجنا إلى قراءة قول نبينا ﷺ: «**واعلـم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطـأك لم يكن ليصيبك**»، وتجديد معانيه في نفوسنا!.

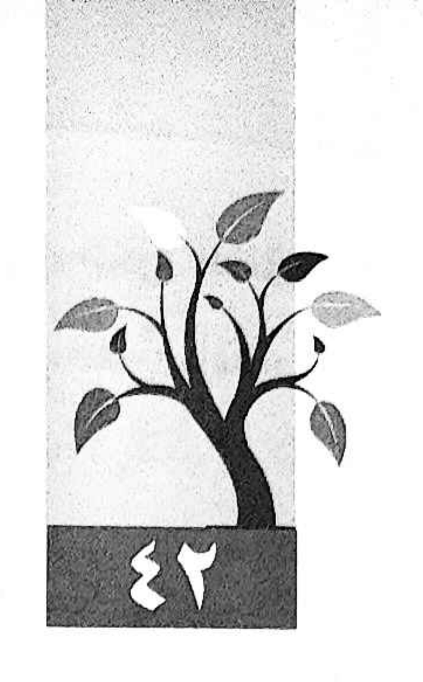
إنَّ كلَّ إنسـان قدَّر الله تعالى له قدره وهو ما زال في الأربعين يوماً الأولـى من حياته؛ فلماذا القلق من المستقبل والخوف من القادم؟!.

إنَّ الأسـباب من قدر الله تعالى، لكن حين تتحوَّل إلى مثل هذه المعاني؛ تتحوَّل من أسـباب شرعية إلى ضعف إيمان بقضاء الله تعالى وقدره..

إنَّ تعاطي الأســباب أمر مشــروع، لكنَّ الغلوَّ فيها والتوجُّس من المستقبل قد يكون سوء ظنٍّ بأقدار الله تعالى، وضعف إيمان.

فلماذا لا نعيش مطمئنِّين مســتقرِّين، وحين تفجؤنا الأحــداث نــدرك أن ذلــك محــض قــدر الله تعالى وإرادتــه، ولا راد لقضائه وقــدره، فلنســلِّمْ ولنؤمنْ، ولنعلم أن لله تعالــى في ذلك حكمة، وما شــاء الله تعالى كان، وما لم يشأ لم يكن.





٤٢ استمتعْ بيومِك

استمتعْ باليوم الَّذي يولد جديداً في حياتك، ولا تتركِ الفرصةَ تفوِّت عليك ذلك الاستمتاع.

إنَّ هذه الأيام تولد كميلاد الإنسان، وتموت كموته، غير أنَّ العمــر الفاصل بين ميلادهــا وموتها محدود جدّاً، وكلُّ إنســان مدعوٌّ ألا يفوِّت هذا العمر المحدود مــن حياته، وأن يســتمتع بســاعاته، ويلتــذَّ بدقائقه، ويعيش يومه كأنه الحياة.

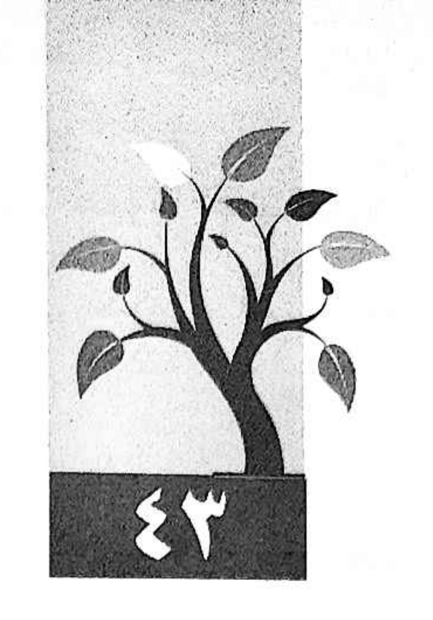
لقد علَّمنا النبيُّ ﷺ كيف يســتمتع الإنسان بيومه؛ وذلــك حين يعيــش يومــه المولــود ولا يلتفــت إلى نهايتــه: **«من أمسى آمناً في سربه، معافًى في بدنه، عنده قوت يومــه وليلته، فكأنما حِيــزتْ له الدنيا بحذافيرها»**.

إنَّ الفرح بميـــلاد اليوم يطرد كلَّ هموم الإنســـان، وينفي عنه هموم المســـتقبل، ويقصر تفكيره في ذات اليوم فحسب!.

كم فوَّت النَّظر للمســـتقبل من لـــذَّة! وكم باعد بين قلب الإنســـان وبين المتعة! تراه لا يجد المتعة بيومه، ولا يملك الاســـتمتاع بلحظته، وكلَّما أراد أن يعيش في ذات اليوم كرَّ عليه المستقبل ففرَّت المتعة أمام عينيه، فلا تجده هانئاً في صلاة، ولا خاشـــعاً في عبادة، ولا مستريحاً من همٍّ، تولد الأيام في حياته وتموت وترحل بما فيهـــا وهو لم يجد الوقت الكافي للاســـتمتاع بها، وغالباً ما يحرم هؤلاء كلَّ متعة في الأرض.

ما أحوجنا إلى الاستمتاع بميلاد كلِّ يوم، والاستقرار فيه، والسُّـــكون إليه، واللَّذة بلحظاته حتَّى تجدَ الرُّوح المعنى الذي تبحث عنه وتهفو إليه.

لقـــد بات مـــن الضَّرورة لـــكلِّ واحد منَّـــا أن يغيِّر واقعـــه، وأن يبحث عن المتعة في يومه، وأن يســـتمتع بأدنى لحظة يجدها في ذلك اليوم، ومثل هذا المعنى كفيل بإذن الله تعالى بالرَّاحة الَّتي ينشدها الإنسان.



٤٣ استعجالُ النِّهاياتِ

مبادرةُ البناء، ومطاردةُ الأهداف، والسَّعي وراء النِّهاية، أشياء مهمَّة ورائعة في حياة الإنسان، وتدلُّ على سموٍّ نفسٍ ورفعةِ همَّةٍ، لكنَّ كلَّ ذلك مرهونٌ بألا تكون على حساب استمتاع الإنسان ولذَّته بدقائق هذه الرحلة في كلِّ يوم.

إنَّ حرص الإنسان على كتابة تاريخه شيء رائع، والعمل من أجل تحقيق أعظم الآثار مطلب مُلِحٌّ، لكن لا يتحوَّل هذا الحرص إلى همٍّ وتعب وشقاء ربما يستنفذ فيه الإنسان طاقته في أقلِّ وقت، ويحرم اللذة الَّتي يسعى من أجل تحقيقها في نهاية الوقت.

إنَّ على الإنسان أن يرتِّب نفسه، ويخطِّط لبناء مستقبله، ويضع له أولويات، ويجعل في ذهنه قبل

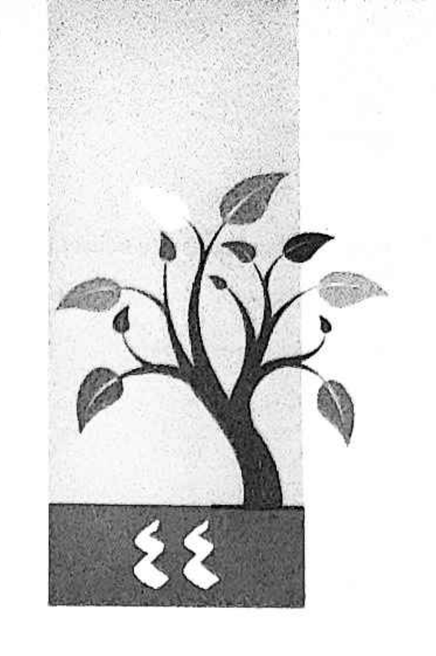
ذلك أوقاتاً يستمتع فيها، ويجدِّد نشاطه، ويتواصل مع الآخرين، وينفع في أكثر مـن جانب.. وكم هي عوائد الخير بالتَّوازن!..

إنَّ وجود المُتع الحِسِّـيَّة والمعنوية في جداولنا الَّتي نخطِّط لها من أهمِّ ما ينبغي أن نُعنـى به، ونهتمَّ فيه؛ ذلك لأنَّ هذه المتع، وهذه المساحات الفارغة في حياتنا هي الوقود الذي يُشعل حماسَـنا للمواصلة في تاريخنا، وهي في ذات الوقت تجديدٌ لأرواحنا وأجسـادنا أن تكلَّ من الطريق، أو تجمد في مستقبلها عن المواصلة.

لقد بَلَغ النبيَّ ﷺ أنَّ امرأة علَّقتْ حبلاً في الجدار؛ إذا كلَّت مـن الصَّلاة أمسـكتْ به، فقـال ﷺ: «**مه، عليكم بما تطيقون، فإنَّ الله لا يملُّ حتَّى تَمَلُّوا**».

وهكذا يعلِّمنا نبيُّنا ﷺ أنَّ مغالبة الجسد، والحمل عليه وإرهاقه ليس من دين الله تعالى في شيء.

ولما بلغه سعيُ الآخر وكدُّه في البناء قال: «**المنبتُّ لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى**».



٤٤ الرِّياضة

الرِّياضة شـــيء رائع في حياتنا، وينبغي أن تكون ضمن أهدافنا وخطَّتنا الَّتـــي نعيش بها في الحياة، وهي جزء من التَّوازن الذي ننشده في شخصية كلِّ إنسان، وينبغي لنا أن نمارسها ونحن ندرك فضائلها على حيوية الإنسان ونشاطه في عمله.

إنَّ مشكلتنا مع الرِّياضة اليوم أننا لا نمارسها بِنِيَّة إعادة الوهج لأرواحنا، وإدخال السُّـرور على نفوسنا، والتعبئة الجسدية لأهدافنا.. كلا! وإنما نمارسها خوفاً من وهم المـرض، ويظلُّ الدَّافع لها هـو هذا الوهم الجاثم علـى قلوبنا في كلِّ لحظة متعـة، وحين تكون كذلـك يموت معناهـا الحقيقيُّ، وتموت معهـا متعتُها الحِسِّيَّة، وتذبل أرواحنا وأجسادنا في لحظاتها.

علينا أن نمارس هــذه الرياضة ونحــن نؤمن أنَّها جزءٌ مهمٌّ في حياتنا، وشيء من التوازن في رحلتنا، لا أن تكون أداةً نطارد بها أمراضَنا، وندفع بها أوهامَنا، وحيــن تكون كذلك يموت فيها كلُّ شــيء، ونمارسُــها ولا نجد أدنــى متعة فيها؛ لأن الوهــم يخطو معنا في لحظاتها، ويقضي على كلِّ ســرور فيها تلك اللحظة، ونظلُّ نزيد فيها أو ننقص منها دفعاً للوهم، واستجابة لمشاعر الخوف فحسب.





٤٥ فِقهُ الأولويّات

من أسوأ ما يجد الإنســانُ اليوم في رحلة عمله أنَّه يبنيه في أحيان كثيرة على رحلة الرُّوح في حياته.

لقد باتت هذه الصُّور تمتدُّ في حياة النَّاس، وتكبر، وتتوسَّع، وتوجد لها مع الزمن شقة في القلب دون أن نشعر!.

إنــك ترى كثيريــن يغرقون فــي العمــل، لدرجة أن الأذان بكلِّ جمله وزمنه لا يقوى علــى إعادة رؤيته إلى بناء مستقبله، فيؤذِّن المؤذِّن، وتقام الصَّلاة، وقد تصلَّى في أحيــان كثيرة وهم بين أوراقهم، وفــي اجتماعاتهم؛ حتَّى إذا ما فــات الخير وانقضى وقــت البركة، وفاتت أرباح الجماعة وأوقات الفضيلــة؛ أقبل هؤلاء على بيوت اللّٰه تعالى وقد فاتت عليهم أرباح كبيرة.

إنَّ العمل عبـــادة، ويظلُّ هذا المفهوم مســتمرّاً في حياة كلِّ إنسان وهو يمارس ذلك العمل، فإذا ما فوَّت هذا الواجب العظيم ذهبتْ منه هــذه الثمرة، وتحوَّل من عبادة حقيقية يجد فيها الإنسان روحه، إلى عبادة وهمية تقضــي على أولوياتــه، وتقف أمــام كلِّ متعه الروحية في حياته.

ويظلُّ الطَّريق بمثل هذا التخلُّف شــعثاً لا يجد فيه الإنســان ما يريد، ويظلُّ هذا التخلُّف يطاردنا في كلِّ لحظة، ويهجم علينا في كلِّ مرة، ونحن لا ندري ماذا يصيبنا؟ ومن أين أتت علينا الدواخل؟...

إنَّ علينا أن نحســن فقــه الأولويَّــات والتوازن في حياتنــا، وأن نقبــل علــى أعمالنــا صادقيــن جادِّين محتســبين لأجرها عند ربِّ العالمين، فــإذا ما نادى منــادي اللّه تعالى في لحظته؛ فيجــب علينا أن نترك كلَّ ما في أيدينا تلــك اللحظة مهما كانت عظمته في نفوسنا.





٤٦ جِبِلَّةُ الإنسانِ

الإنســـانُ بشــرٌ والخطأُ من جِبِلَّتِهِ، وفي حديث نبيِّك ﷺ: «**كلُّ ابن آدم خطَّاء**».

ولن يجد الإنســان اللحظة التي يتوقَّـف فيها عن الخطأ مهما طال به الزمان، وعظمت به التجربة، ومع هذا لا ينبغي للإنســان أن يحاصر نفسه في أخطائه، ويجعلها فــي كلِّ وقت بين عينيه، بل علــى العاقل أن يتجاوز ذلك، وينظر إلى أنَّ الخطأَ تجربةٌ في عرض هذه الأحداث، وما من بشــر فــي الأرض إلا وتصحبه الأخطاء.

إنَّ مشكلة بعض النَّاس أنَّ الخطأ يظلُّ بين أعينهم يحاصرهــم عند كلِّ حالــة نجاح، ويقــف أمامهم في

عرض الطَّريق في كلِّ حالة فوز، ويظلُّ هذا الخطأ يعيِّرهم في كلِّ موقف، ويطاردهم في كلِّ مناسبة، ويجدون مرارته في لحظة النَّجاح بالذَّات.

إنَّ علينا أن نفرح بلحظات النَّجاح، ونسعد بأوقات الفوز، ونمضي نعيش اللحظةَ كأمتع ما يكون في حياتنا، ونمضي في الطَّريق فرحين بلذة النَّصر، مغبوطين بلحظة الفوز والنَّجاح مهما كانت أخطاؤنا، وندفع كلَّ خطأ يعترض طريقنا، ونظلُّ مؤمنين بأنَّه لولا الخطأ لما وجد الإنسانُ لذَّةَ الحقِّ.

إنَّ علينا أن نؤمن أنَّنا ما دمنا بشراً من النَّاس فعلينا أن ندرك أنَّ العلاقة الَّتي ما بيننا وبين الأخطاء ستظلُّ متصلة لا ينزعها واقع، ولا تؤثِّر فيها تجربة، ولو لم يكن في ذلك إلا ما ذَكَّر به القرآنُ في آياته من أخطاء الأنبياء في رحلتهم على الأرض؛ لكان دليلاً على استقرار هذا المعنى في نفوسنا.

وعلينا مع هذه الصِّلة أن نؤمن أننا قادرون على

تجـاوز أخطائنا بـكلِّ ثقة، وجـادُّون فـي إزاحة كلِّ التصـوُّرات الَّتـي تحلَّقت حـول الخطأ إبَّـان وقوعه، وكاتبون حياة جديدة رائعة مليئة بالأحداث الصحيحة التي تعلَّمتْ مـن رحلة الأخطاء الماضية أوسـع صورِ النَّجاحِ.





٤٧ اكتشفْ إيمانَك

وطِّن نفسك على قبول المصائب والأحداث الكبرى في حياتك، فالحقائق المُرَّة في حياة كلِّ إنسان قدرٌ يجب أن نستقبله استقبال العارف الراضي به.

إنَّ الله تعالى قد أبان لنا أنَّ كلَّ إنسان سيرحل في اللَّحظة التي كتب الله تعالى له فيها أن يرحل، وذلك في قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

وكلُّ إنسان لا يشكُّ لحظة في أنَّه على موعد مع هذه الساعة هو وكلُّ من يحبُّ، ومع ذلك تجده قلقاً أمام هذه الحقيقة الكبرى؛ تراه إن خرج في سفر خرج حزيناً كئيباً من أحداث الطرقات، وإن سافر له ابنٌ أو حبيب عاش قلقاً حتَّى يصل إلى مكانه الذي أراد، ويظلُّ يرقب هاتفه في كلِّ لحظة، وحين يطرق

جواله في بعض السَّاعات المتأخِّرة أو في أوقات غير مناسبة يخفق قلبه خوفاً وذعراً من القدر القادم، وحين يأتي إلى بيته من عمل أو سفر ويجد سيارات متجمِّعة يتغيَّر منه كلُّ شيء، ولو ناداه أحد من النَّاس وأخذه في زاوية ليستشيره أو يحدِّثه بأمر خَفَق قلبُه خوفاً وذعراً، وخشي أنَّ حوادث الزمان أقبلت إليه بكلِّ ما فيها من مصائب.

إنَّ هذه النفوس في الغالب لم تستقرَّ بعد في رحلة الإيمان، ولم تؤمن حقيقةً بالقضاء والقدر، وعلى كلِّ عاقل أنْ يدرك أنَّ هذه الحياة لن تصفو لإنسان، وأنَّها مليئةٌ بالأقدار والفواجع الكبرى، وأنَّ على الإنسان أن يسلِّم لله تعالى، وأن يتوقَّع كلَّ شيء، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].





٤٨ الغضبُ

لحظات الغضب هي المدرسة العملية الَّتي يقيس فيها الإنسان قدراته كإنسان!.

هذه اللحظات غالبـــاً ما تطيـــش بالكبار، وكم من إنســـانٍ نقلته هذه اللحظة من مصافِّ العقلاء والقدوات الكبار، إلى رعاع السفهاء!.

إنَّ اللحظات التي يُستفزُّ فيها الإنسان هي اللحظات التي تدلُّ على عقله، فإمَّا إنسان يستقبل كلَّ قبيح وهو لا يخرج عن نطاق الأدب في شيء، ويهب صاحب الخصام ابتســامةَ واثقٍ أمام ســيِّئ القول وغريب الحديث، وإما آخر تطيش به الكلمةُ فيفعل أفعال السفهاء.

ولذلك علَّمنا النبيُّ ﷺ أنَّ الشدة الحقيقية ليست

هي تلك التي تلبس لباس القوة الحسية والقدرة على الانتصار الحسي في مجالس التحدِّي، وإنَّما القدرة على ضبط النفس واستيعاب الخلاف مهما كان حجمه، وترك الفوضى التي يحدثها المكان والزمان، قال ﷺ: **«ليس الشَّديدُ بالصُّرعة، وإنَّما الشَّديد الذي يملك نفسه عند الغضب»**.

غالباً ما يستفزُّ الرجل، وتختلف ردود الأفعال بناءً على عظمة النفوس وضعفها، وما ندم إنسان ما ندم على ساعة غضب!.

وقد رأيتُ رجالاً تستفزُّهم زوجاتهم في البيوت، فلا يملكون لهنَّ إلا كلمة الطلاق يفرغون بها حقن الغضب من نفوسهم، ويندمون بعد فواتها عنهم بلحظة.

وآخرون يستفزُّهم بعض الأبناء، أو زملاء العمل، أو كلمات عابرة في عرض الطريق؛ فيحدث من آثار ذلك ما لا يمكن وصفه ولا التعبير عنه.

ما أحوجَ الإنسانَ إلى الهدوء لحظة الغضب، وإلى حمل النَّفْس على الصَّبر، وإلى رؤية النهايات التي تحملها العجلة في مثل هذه المواقف!.

وما أحوجه إلى التدريب على تحمُّل أخلاق الناس، والصبر على ما يأتي إليه من أذى.

وكـم من مغبـوط من آثـار حلمه! وكـم ممَّن أكل الأسـفُ قلبَه على فوات لحظات الانتصار في مثل هذه المواقف!.

وقد ذهب قول نبيِّنا ﷺ لأشجِّ بن عبد القيس دعوة رائعة إلى عظيم الأخلاق: «**إنَّ فيك خصلتين يحبُّهما الله ورسوله.. الحلمُ والأناةُ**».





٤٩ رتِّبْ حياتَك

كثيرون يشتكون من الشَّعَثِ الذي يجدونه في قلوبهم وحياتهم كلَّ يوم، وتجد الواحد من هؤلاء لم يعثر على اللحظة الممتعة في حياته بعد! وتراه وهو يلهث في كلِّ مكان ولم يجد بعد الطُّمأنينة الَّتي يتحدَّث عنها الناس.

إنَّ الطُّمأنينة والهدوء والسكينة من أعظم ما يحتاجها قلبُ الإنسان، ولن يصلَ إليها حقيقةً حتَّى يرتِّب نفسَه، وينظِّم وقته، ويعرف كيف يدير حياته؟.

والإنسان أحوج ما يكون في عصر المادة اليوم إلى ترتيب حياته، والغفلة عن هذا الجانب أوسع طريق للخسارة.

إنَّ أول خطـوة في قضيــة ترتيب حياتنــا وتنظيم أولوياتهــا أن نــدركَ عظمة الصِّلة بـالله تعالى، وأن نضع للاســتجابة لله تعالى أعظمَ أولويــة لنا في كلِّ يوم نعيشــه في عرض هــذه الحياة، ويجــب أن يعلمَ كلُّ واحد منا أنَّ الغافـل عن هذه الخطوة مهما كانت قدرتُه على ترتيــب وتنظيم حياته؛ لن يصل إلى كبير فائـدة؛ لأنَّ القلب إذا لم يســتقرَّ ويجــد مطلوبه من طاعة الله تعالى، وإلا صار شـعثاً قلقاً، وفي قول الله تعالــى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعـد: ٢٨] ما يبيّــن هذه الحقيقة الكبرى في حياة الإنسان.

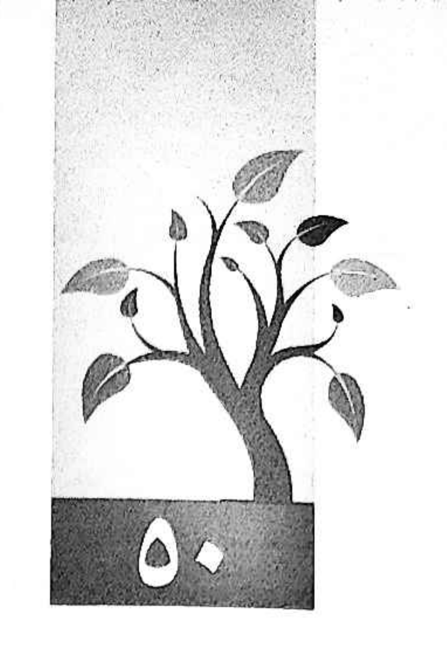
وفي قوله تعالــى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ ﴾ [النحل: ٩٧] أعظم جواب للباحثين عن السعادة التي ينشدون.

فإذا ما أحســنَّا قراءة هــذا الجانب فــي حياتنا، ووضعنا الخطـوات الكفيلةَ باسـتقراره كلَّ يوم؛ عُدنا إلى تنظيــم أوقاتنا، وترتيب حياتنــا اليومية بطريقةٍ سـهلة بسـيطة، بحيث نضع إطــاراً عامّــاً لأولوياتنا

وأهدافنا، ونرسم لها طريقاً تسير فيه برفق، وتصل مع الزمن إلى المقصود منها بإذن الله تعالى.

إنَّني لا أعني التَّخطيط والتَّرتيب الذي يُعنى بكلِّ دقيقة؛ فهذا غالباً ما يأتي بالأزمات، وإنَّما أعني إطاراً عامّاً تكون فيه الأهداف واضحة، ويخلق بيئة التوازن في نفوسنا، ونحافظ به على أولوياتنا بطريقة سهلة مرنة، بحيث تأتي نهاية كلِّ أسبوع وأجد أنني حافظت على صلتي بالله تعالى في مختلف الجوانب، وتمكَّنت من إثراء عقلي بالمفيد، ووصلتُ رحمي في صورة مرتَّبة، وقمتُ بواجبات العمل بطريقة سهلة يسيرة، ويمكن أن أجعل مع ذلك بعض الأيام كالخميس والجمعة مثلاً أياماً مفتوحة يتمتَّع فيها الإنسانُ بقراءة حرَّة، ورحلة ممتعة.

إنَّ العناية بترتيب حياتنا وإدارة أولوياتنا من أعظم عوائد الخير على كلِّ إنسان، ويجب على كلِّ واحد منَّا أن يقطع لها من سنام وقته ما يجعلها كبيرة في حياته في قادم الأيام.



٥٠ الفراغُ

الفراغُ أعظم الأسباب الموجبة للقلق في حياتنا.

إنَّ الهموم والمشكلات في العادة لا تجد لها مساحة في قلوب المشغولين عنها، وإنَّما تذهب تبحث عن بيئة مناسبة؛ فلا تجد أجمل لها من أوقات الفراغ عند الكثيرين.

إنَّ بيئة الفراغ أخصب بيئة للجريمة، ولن تجد إنساناً فكَّر وخطَّط ورتَّب ونظَّم وفعل ما يشين إلا في مثل هذه الأوقات.

والعاقل عليه أن يدرك أنَّ الفراغ في أصله نعمة من أعظم النِّعمِ كما قال رسولنا ﷺ: «**نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصِّحَّةُ، والفراغ**»؛ فإن لم

يرتّب لاستثماره وإلا كان سبباً في وعثاء قلبه، وشتات حياته.

إنَّ الوسواسَ الذي يطارد الكثيرين هو بعض نتائج هذا الفراغ، والأمراضَ التي تلاحقنا في غالب الأحيان هي بعض آثاره، والوهم قرين لا ينفك عنه في كثير من الأوقات، وعلى كلِّ عاقل أن يخطِّط لوقته، ويستثمره غاية الاستثمار، ويجهد في الحيلولة بينه وبين الفراغ، وإلا كانت العواقب كبيرة والنتائج خطيرة.

لنحاول أن نختار الطَّريق الأنسب الذي نملأ به فراغنا، وكلُّ إنسان أَعْرَفُ بما يناسبه ويعينه على استثمار وقته، ولنعلم أنَّه ليس أمامنا سوى هذا الخيار؛ لأن البقاء في ساحات هذه الأوقات خطرٌ ينبغي أن يحاصر قدر المستطاع.





٥١ خذِ العفوَ

﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] **رسالةٌ يبعثها الله تعالى في كتابه لكلِّ من يقرأ هذا القرآن، يدعونا فيها ربُّ العالمين إلى أن نأخذ ما عفى من أخلاق النَّاس، وما تيسَّر منها، وما جادت به نفوسُهم، وما سنح به الخاطر وسمح به الزمان، وألا نكلِّف النَّاس أخلاقاً معينة وتصرفات محددة إما يأتون بها في ثوبها الذي نفصِّله لها، وإلا لا قبول لهم في حياتنا.**

يجب أن ندرك أنَّ النَّاس طباعٌ وأجناس مختلفة؛ هكذا خلقهم الله تعالى، وكلُّ من يحاول أن يصبغَ النَّاس بصبغة واحدة إنَّما يطلب جذوة نار في حقل ماء.

إنَّ اللّٰه تعالــى خلق الخلق مختلفين في كلِّ شــيء، وإذا أردنا أن نأتلف مــع الخلق، ونجتمع معهم، ونؤثِّر ونـتأثَّر، فعلينا أن نفقه هذه المســألة، وأن نقبل من النَّاس ما تيسَّــر مــن أخلاقهم، وعلينــا أن نفرح بما نرى، ونسعد بما نجد، وألا نحمِّل أنفسَنا عناءَ تأخُّرهم عن فضائل الأخلاق.

إنَّ كثيراً من الخلق يبعثر طمأنينته واستقراره حين يقصُرُ فرحَه وســعادته بما يراه مــن أخلاق الآخرين، ويظلُّ يوقف أفراحــه كلَّها على معاملة إنســان له في عرض الطريق.

إنَّ نفوسنا إذا لم تهبنا السَّعادة والطُّمأنينة فمحال أن يهبها لنا النَّاس.

رأيتُ بعضَ هؤلاء يشــكو أنَّ فلاناً مــرَّ بجواره ولم يُعِرْه اهتماماً، وآخر قابله في الطَّريق لكنَّه لم يســلِّم عليه، وثالث قــدّم له خدمةً كبيرةً ونســيها مع مرور الأزمان، ورابع متغيِّر المزاج، كثيــر الغضب... ويظلُّ يوقفُ أفراحَه ولحظات السَّــعادة في حياته على أفعال الآخرين.

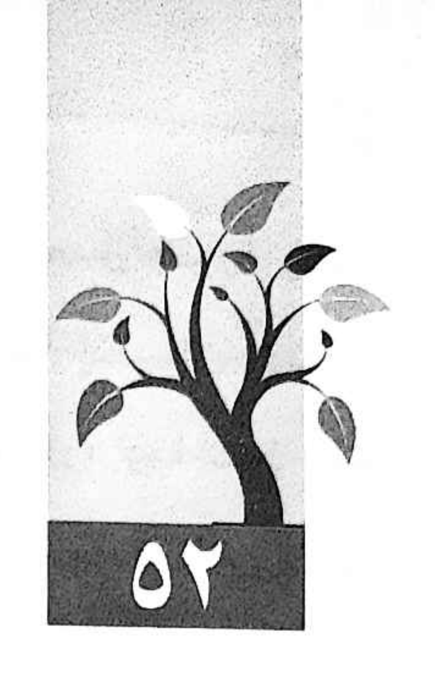
إنَّ الواجب علينا أن نكون في أجمل صورة يحبُّها اللّٰه تعالى، وأسعد لحظةٍ يعيشها إنسان، ونعطي الآخرين ما نملك من أخلاق الكبار، وما عدا ذلك شيء لا نملكه؛ فكيف نجعله نبع السعادة الَّتي نريد، وأحلام المستقبل الَّتي نتمنَّى؟!.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ في كلِّ شيء، اقبلْ أخلاق النَّاس على ما هي عليه، لا تكلِّفهم صوراً مُثلى من الأخلاق؛ فإنَّ ذلك ليس من شأنك في شيء.

لا تعلِّق سعادتك على كلمة جميلة من إنسان، أو ابتسامة في عرض الطَّريق، أو جزاء تنتظره من مخلوق!.

عش سعادتك من خلال حياتك، ودع للنَّاس سعة في حكمة اللّٰه تعالى لهم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨].





٥٢ لا تتحسَّرْ على فائتٍ

إذا فَجَأَك الزَّمان بمصيبة فسارع إلى حمد الله تعالى، «واعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك» وإياك أن تردِّد متأسِّفاً: «لو أنِّي فعلت كذا لكان كذا»؛ فإنَّ هذه أحلام فارغة وأمـــانٍ كاذبة، وحذر لا ينفع مـــن القدر؛ دفعها الشَّيطان لك لحظة المصيبة ليفقدك حسنتها وأجرها.

إنَّ الدُّينا كلَّها قامت على هذه المعاني، ولن تستقرَّ للإنسان الحياة على ما يريد، وعلينا أن ندرك أنَّ ثمَّة أقداراً تحمل فواجـع ومصائب في حياتنا سـنظلُّ على موعد مع قدرهـا، وليس من العقـل، ولا من الحكمة، ولا من الإيمان أن يتحسَّـر الإنسـانُ على فوات ضائع، فالماءُ الذي انسـكب من قارورته لا سبيل إلى إعادته من جديد، والزُّجاجة التي تحطَّمت لا طريق إلى إعادة

أشلائها ولو كانت غاية في الجمال وروعة الشَّكل والصورة، وهكذا كلُّ مصيبة تأتي علينا يجب أن ندرك أنَّه لا سبيل إلى استدراكها مهما كان حرصُنا ويقظتُنا.

لقد رأى النبيُّ ﷺ امرأة حملها الحزنُ على ولدها حتَّى ذهبت إلى قبره في وسط المقابر، وأخذت تبكي على فراقه، فقال النبيُّ ﷺ لها: «**اصبري**» فقالت: إليك عنِّي! ولم تعرفْ أنَّه نبيُّ الله عليه الصلاة والسلام، فلمَّا أدركتْ ذلك أقبلتْ معتذرةً، فقال ﷺ: «**إنَّما الصَّبر عند الصَّدمة الأولى**».

يعلِّمنا بذلك أنَّ الصَّبر بعد فوات أوانه لا قيمة له في الواقع، ولا أجر له في الآخرة.

أيّاً كانت المصيبة التي تفجؤك هذه اللَّحظة، إنَّما هي قدر الله تعالى عليك قبل أن يخلق السَّموات والأرض بخمسين ألف سنة، ووالله لو فعلتَ كلَّ ما تملك ما كنتَ تقدرُ على ردِّ قضاء الله تعالى وقدره عنك..

فكن فطناً عاقلاً كبيراً واحمد الله تعالى، وما اختاره الله تعالى لك هو خير من اختيارك لنفسك مهما كان حرصك.



٥٣ الابتلاءُ

ما أعظـــمَ إرادة الله تعالى لـــك! إذا ابتلاك اللهُ تعالى فقد أحبَّك، وأراد أن يرفـــع مقامك، ويكتب حظَّك من الآخرة بأوسع ممَّا في الأرض..

إنَّ البلاء الذي تعانيه في جسدك هذه اللحظة هو إرادة الله تعالى وقدره وحكمته! فلماذا تقلق على قدر مكتوب حين ولادتك؟! لا تبدد هذه النعمة في حياتك بالنظر إلى الأصحاء؛ فـإنَّ الله تعالى خصَّك بذلك، وخيرةُ الله تعالى لك خير من خيرتك لنفسك.

أتحزن لأنَّ الله تعالـــى أحبَّك من بين النَّاس؟! من هذا الـــذي يحزن لحبِّ الله تعالى لـــه؟! أما بلغك أنَّ نبيَّك ﷺ قال: «**إنَّ الله إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم**»؟!.

إنَّك بالابتلاء تفارق كلَّ ذنبك، وتودّع كلَّ خطيئتك، فماذا بقي من ذنب تلقى اللّه تعالى به؟!.

أما سمعتَ قول نبيِّك ﷺ: «**ولا يزال البلاء بالمؤمن حتَّى يلقى اللّه وما عليه خطيئة**».

إنَّ الحياةَ كلَّها مهما طالت أيامها قصيرةٌ بسيطةٌ راحلةٌ، وعند اللّه تعالى اللِّقاء، وكم من مترفٍ منعَّم أنستْه النِّعمةُ طاعةَ اللّه تعالى، فكان حطباً لجهنَّم في نهاية المطاف! وكم من إنسان مات في عرض الطَّريق ولم يمهله قدر اللّه تعالى أن يستعتب من ربِّه قبل اللقاء! وأنت تُفتح لك الفرصُ، وتُهيَّأ لك الأسباب لتستعتب من اللّه تعالى، وتحسن ما بينك وبينه.

كم يحمل العقل أصحابه إلى منازل الكبار!.

في زمان النبيِّ ﷺ جاءته امرأة وقد أصابها بلاء الصَّرع؛ تسأل النبيَّ ﷺ تقول: يا رسول اللّه! إنِّي أصرع وأتكشّف فادعُ اللّه لي، فقال لها ﷺ: «**إن شئتِ صبرتِ ولك الجنَّة، وإن شئتِ دعوتُ اللّه أن يعافيك**» فقالت: أصبر، وادعُ اللّه ألا أتكشَّف، فدعا لها أن لا تتكشَّف.

فتأمَّل عقلَ هذه المرأة وحسابَها الحقيقيَّ لمسألة الدنيا والآخرة، وكيف أنَّها ارتضتِ الآخرة مع مضاضة ما تلقاه من الصَّرع! وفي النِّهاية: أين هي الآن؟! لو اختارت الدنيا كم كانت خسارتُها؟!.

رحلتِ الدُّنيا بكلِّ ما فيها، وماذا بقي؟ بقيتِ الآمالُ والأحلام الَّتي يتمنَّاها كلُّ مخلوق.





٥٤ العطاءُ

درِّب نفسَك على العطاء كلَّ يوم..

من أجمل اللحظات التي يمكن أن يعيشها الإنسان هي تلك اللحظة المتمثِّلة في العطاء..

إنَّ الإنسان لا يشعر بمعنى الحياة الكبيرة في تاريخه حتَّى يعطي الآخرين ما يحتاجون، ويمنحهم ما يريدون، فيجدون تلك اللحظة السَّعادة التي يبحثون عنها، واللَّذة الَّتي يجهدون في حصولها، والقلب الذي يهبهم معاني الحبِّ ومشاعر الودِّ في كل ما يريدون.

لنبذل السَّلام على كلِّ من نلقاه، ولنهدي الابتسامة لكلِّ من نجده، وعلينا أن نأخذ من جيوبنا ما يسلِّي المحتاجين من طعام أو كساء!.

إنَّ ما هو بسيط في حياتنا هو كبير عند النَّاس، وكم من إنسان تصنع فيه هذه المعاني كلَّ جميل!.

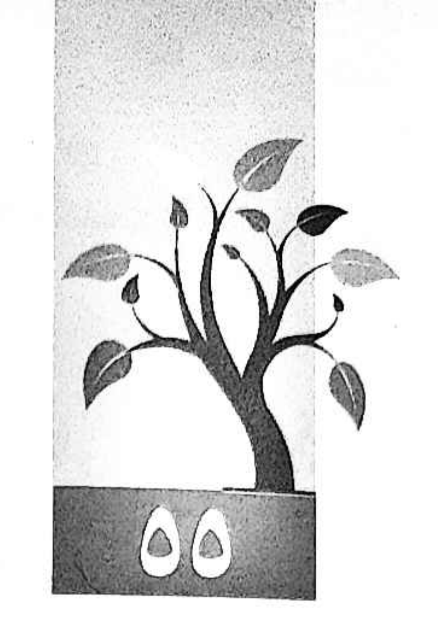
لندرّب أنفسنا على أن نحمل كلَّ من نلقاه في طريقنا، ونسعف كلَّ محتاج ينتظر فرج المحسنين، وفي تلك اللحظة التي تكتمل فيها هذه المعاني في حياة إنسان هي ذاتها التي تأتي مهنئة بحبِّ الله تعالى له: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

لقد كان نبيُّنا ﷺ أجود النَّاس بالخير، وما سئل شيئاً فقال: لا، حتَّى إنَّه ليُسأل كساءه الذي على جسده فيدفعه لمن سأله.

وسيظلُّ العطاء من أعظم الأدلة على جمال أخلاق الإنسان، وسعة مشاعر الحبِّ في حياته..

وكم من ذاهب اليوم عائد غداً في ساحات الآخرة بأربح ما يكون! وكم من محبوس ذابل مع مرور الأيام ضائع في تاريخ إنسان!.





٥٥ التفاؤل

التَّفاؤل في الحياة راحلــة كلِّ ناجح، وعطرُ كلِّ حريــص، وخليل كلِّ صاحب رســالة، إنَّك على مرِّ التاريخ كلِّه لن تجد ناجحاً كبيراً عاش متشائماً في الواقع، بئيساً بالحياة!.

إنَّ الحيــاة لا تبتهج إلا بالمتفائليــن فيها، وكذلك كان الأنبياء.

إنَّ التفــاؤلَ بعضُ آثــار الإيمان في قلــب صاحبه، وعلى كلِّ إنســان أراد أن يعيش الحياة كما هي رائعة جميلة؛ عليه أن يتفاءل بكلِّ أحداثها، وأن يطوي زمان التشاؤم من حياته.

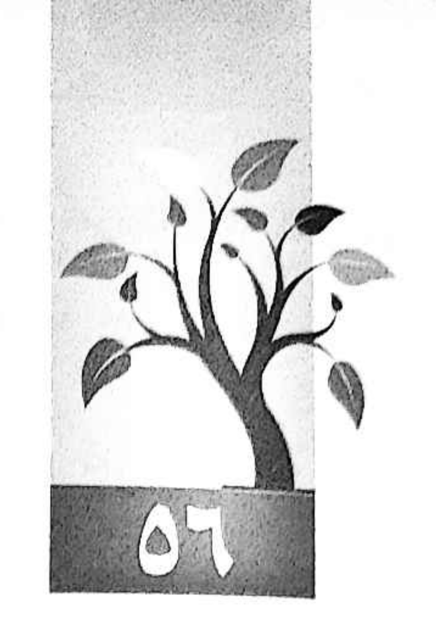
لقــد كان نبيُّنا ﷺ ينهــى عن التشــاؤم ويكرهه، ويردِّد في حديثــه: «**لا طيرة، وخيرها الفأل**»، قالوا:

وما الفأل يا رسول الله؟ قال: «**الكلمةُ الصَّالحة يسمعها أحدكم**».

وكان يحرص ﷺ غاية الحرص على تغيير الأسماء الصَّعبة، أو الَّتي تحمل معاني سيئةً، فغيَّر العاصي بالمطيع، والحرب بالسلم، وعاصية بالجميلة، وحدّث سعيد بن المسيب بن حزن، عن أبيه: أن أباه جاء إلى النبيِّ ﷺ فقال: «**ما اسمك؟**» قال: حزن، قال: «**أنت سهل**» فقال: لا أغيّر اسماً سمَّانيه أبي، قال: «**بل أنت حزن**» قال ابن المسيب: فما زالتْ فينا الحزونة!.. وكلُّ ذلك تفاؤلاً منه ﷺ بالحياة.

إنَّ الحياةَ جميلةٌ رائعةٌ خاصَّة إذا أدركنا سرَّ وجودنا فيها، وحقَّقنا الغايات الكبرى الَّتي جئنا لأجلها.

إنَّ المتفائل يعيش في الأرض وهو يبتهج بكلِّ شيء يلقاه، إدراكاً منه أنَّه إن كان سرَّاء شكر فكان خيراً له، وإن كان ضرَّاء صبر فكان خيراً له، وما نراه في حياتنا من أعراض ومواقف وأحوال لا ينبغي أن تكون سبباً في التَّشاؤم؛ لأنَّها في حسِّ المؤمن بالله تعالى ابتلاءات يرفع الله تعالى بها درجات صاحبها، ويعلي شأنه في الدَّارَيْن.



٥٦ الخسارةُ

ليس في الحياة خسارةٌ!..

كلمة «الخســـارة» كلمة لا قيمة لهـــا ولا معنى في قامـــوس المؤمن، ذلـــك لأنَّ الإيمان ينفي هذا المفهوم من حياة الإنســـان مطلقاً، ولولا ذلك لما كان للصَّبر قيمةٌ في الإسلام!.

إنَّ أرض الإنســـان حين يزرعها ويتعاهدها بالسُّقيا إنَّما يريد تلك الثمرة التي يحلم بها، فإنْ وجدها في النِّهاية وذاق متعتَهـــا فكذلك، وإن أكلهـــا الطَّير قبل أوان خروجها؛ فلم يذهب شـــيء إنَّمـــا تضاعفت أرباح ذلك الزارع في الدَّارين، ولئن فقد الثَّمرة في الدُّنيا فإنَّما تأخَّرتْ ليجدها كلَّها في الدَّار الآخرة.

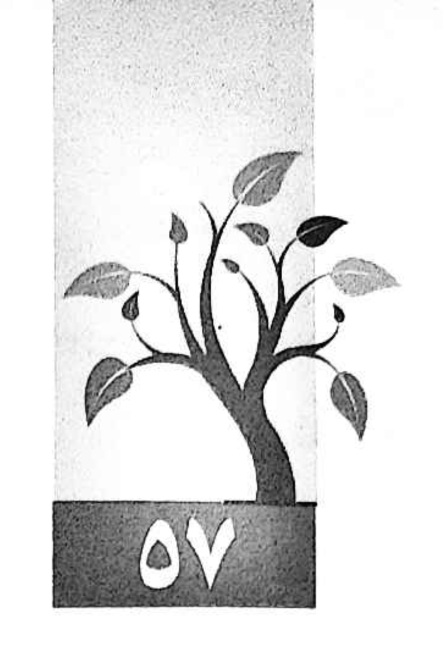
قال ﷺ: «**ما من مسلمٍ يغرسُ غرساً إلا كان ما أُكل منه له صدقة، وما سُرق منه له صدقة**».

وفي رواية: «**لا يغرس المسلم غرساً، ولا يزرع زرعاً، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء، إلا كانت له صدقة**».

فتأمَّل هذا المعنى الكبير! وكذلك كلُّ الحوادث والمصائب الَّتي يلقاها الإنسان في الدنيا تحمل في أثوابها وأعطافها معاني كبيرة من الثواب والأجر والحسنات.

قال ﷺ: «**ما يصيب المسلمَ من وَصَبٍ ولا نَصَبٍ ولا هَمٍّ حتَّى الشَّوكة يشاكها، إلا كفَّر الله بها من خطاياه**».

فليمضِ الإنسان إلى الحياة وهو يعلم هذه الصفحات المشرقة فيها، وليعلم أنَّ حياتَه كلَّها في هذه الدنيا أرباحٌ لا خسارة فيها، وكلَّما فقد شيئاً، أو فاته أوانُ حصاده وتذوُّقِ لذته في الدنيا؛ فليعلمْ أنَّ ذلك مدخور له في الدار الآخرة يلقاه أوفى ما يكون.



٥٧ الخُطوةُ الأولى

التغيير شـــيء يصنعه الإنســـان بنفسه لا ينتظر أحداً يصنع له واقعه..

في كثير من الأحيان نحرم أنفســـنا متعةَ الحياة وإشـــراق لحظاتها حيـــن نجعل نجاحَنـــا للأفضل وسيرَنا نحو المقدِّمة مرهوناً بآخرين.

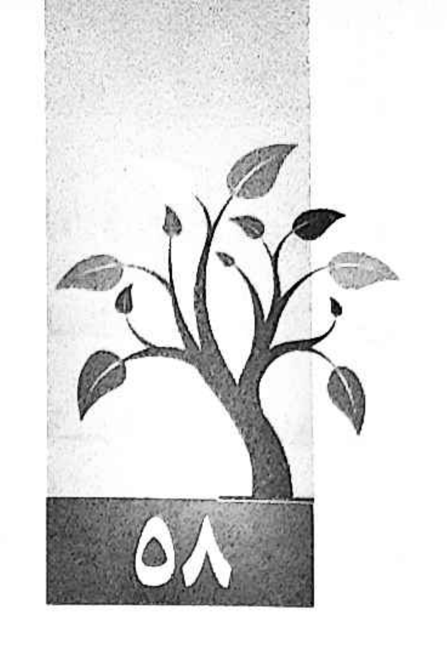
إنَّ الله تعالى حدَّد في كتابه مهمَّة التغيير، وجعلها من نصيب الإنسان نفســـه لا علاقة لها بالآخرين من أي طريق؛ قـــال تعالـــى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

فكلُّ أمل تنتظره فـــي حياتك، وكلُّ إشـــراق تتمنَّاه لروحك؛ ليس بينك وبينه إلا أن تخطو الخطوة الأولى في حياتك نحو منهج الله تعالى في الأرض.

إنَّ كلَّ مشـــكلاتنا الَّتي نعانيها هي نتــاج أعمالنا؛ نحن الذين زرعنا شــوكها وبذرنا أصولها في حياتنا، ولن تجد مشــكلةً في تاريخك جاءت هكــذا عبثاً من غير خطو منك: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [الشورى: ٣٠].

وإذا كنَّــا نحن الذين كتبنا التَّاريــخ البائس الذي نعيشــه في بعض جوانب حياتنا؛ فــإنَّ الحلَّ ليس في البكاء علــى حالنا، والتباكــي من واقعنــا، وإنَّما في تغيير الواقع إلى الأحسن.

إنَّ علينـــا أن نقــرأ واقعنا جيــداً، وأن نتعرَّف على مصــدر الخلل من أين حصل لنا؟ قــد يكون كلُّ ذلك بتخلُّف عن طاعة، أو قد يكون بســبب كلمة، أو نظر، أو تهاون فــي معصية، فــإذا ما عرفنا ذلــك حاولنا ســدَّ ذلك الخلل، وردمنا تلك الفجوة، وأصلحنا ذلك الواقع، وعلينا بعد ذلك أن ننتظر الأمل المنشــود من توفيق الله تعالى لنا.



٥٨ النِّيَّةُ الصَّالحةُ

لا تفوتُك أرباح النِّيَّة الصَّالحة! إنَّ العاقل يجهد في الدُّنيا في أشياء كثيرة، وقد تفوته ثمارها بفوات النية الصالحة منها!.

وينبغي أن يراقبَ كلُّ عاقل نيته في كلِّ عمل يقوم به في عرض هذه الحياة، وأن يجهد في إلباس ذلك العمل ثوبَ النية الصَّالحة، وسـتكون الأرباح أكبر ممَّا يتصوَّر!.

إنَّ النبيَّ ﷺ علَّمنا هـذا الدَّرس الكبير في حياتنا وهو يقول: «**إنَّما الأعمال بالنيات**»، وننسـى في كثير من الأحيان أهميته، ويذهب كثير من العرق بإزاء هذا النسيان دون فائدة!.

كم نجهد في العمـل على بيوتنـا، ونغفل في ذات الوقـت عن النِّيَّـة الصَّالحـة في ذلـك العمل؟ وكم يفوتنـا بذلك من أجر؟ ونبينا ﷺ يقـول: «**وإنَّك لن تنفقَ نفقةً تبتغي بها وجهَ الله، إلَّا أُجِرْتَ عليها حتَّى ما تجعل في فِي امرأتك**».

وفي ذات الشَّـأن يقول ﷺ: «**وفـي بُضع أحدكم صدقة**» قالـوا: يا رسـول الله! أيأتي أحدُنا شـهوتَه ويكون له فيها أجر؟ قال: «**نعم؛ أرأيتُم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر، فكذلـك إذا وضعها في حلال كان له أجر**».

فتصـوَّر عظمة هذه النيـة وهي تحيل هـذا العمل الذي تدفع الإنسـان إليه الشـهوة إلى حسنات ماثلة بين عينيه! إنَّ ذلك كلَّه يعلِّمنا درساً في غاية الأهمية: أن ننتبـه لعظمة النيـة، وأن نجعل لهـا القدر الَّذي تسـتحقُّه من العنايـة والاهتمام، وأن نـؤدِّي كلَّ عمل مهما كان بسيطاً في نظرنا، والنية في رحابه تأخذ به إلى معاني الكبار.

إنَّ ما تقوم بـه في بيتك لزوجـك أو لأبنائك؛ من

طعام أو كساء أو هدية؛ ينبغي أن لا تفوت منه النية، ولا تتوجَّه لعملك كلَّ يــوم إلا والنيةُ في قلبك تدفعك لذلك، واحرصْ أن تكــون كلُّ لحظة من حياتك وفي أي مكان ولأيِّ عمل؛ مصحوبــة بنية صالحة تأخذ بك إلى عالم الكبار.





٥٩ الخبيئةُ الصَّالحةُ

اجعل لك خبيئةً صالحةً بينك وبين الله تعالى!.

ما أحوجنا إلى أعمال يســـيرة يعطِّرها الإخلاص والصِّدق مع الله تعالى، وتكون بيننا وبينه لا يطَّلع عليها مخلوق!.

كم هي حاجة الإنسان إلى عمل يدعو الله تعالى به في أوقات الكرب والشِّدة والضيق!.

في السُّنَّة عن النبيِّ ﷺ خبر الثلاثة الذين دخلوا الغار، فانطبقت عليهم صخرة ســدَّت منافذ الخروج، فإذا بهم يهرعون إلى تلك الأعمال والخبايا الصَّالحة؛ يسألون الله تعالى بها، فكانت النتيجة الَّتي يرغبون، واللحظة التي يأملون!.

لقد كانت الخبيئة الأولى: البر بالوالدين، والثانية: الخوف من الله تعالى وترك الزنى مع توافر دواعيه وحلول فرصته، والثالثة: رعاية حقِّ العمال، وخرج الثلاثة إلى السَّعة بعد أن رأوا كلَّ معاني الضِّيق والشِّدَّة.

إنَّ كلَّ واحد منَّا يمكنه أن يكوِّن له عملاً صالحاً بينه وبين الله تعالى، وأن يجعل ذلك العملَ من الأسرار الَّتي لا يطَّلع عليها النَّاس مهما كان الحال، وستظلُّ هذه الخبيئةُ كفيلةً إن شاء الله تعالى أن تكون عونَ الإنسان في ملمَّات الدنيا، وكفيلةً كذلك أن تقف على قدميها ماثلةً في لحظات الحساب بين يدي الله تعالى يوم القيامة.

وكم هي المصائب والأحداث الَّتي دفعتها مثل هذه الخبايا دون أن نشعر بآثارها في كلِّ أحداث الحياة التي نواجهها كلَّ يوم.



التَّوبةُ

قد لا تتصَّور رحلة التوبة في حياتك! ولا تدرك عظيم أثرها عند ربِّك!.

لقد وصف لـك نبيُّك ﷺ لحظة التوبة بأوسع ما يتصوَّر إنسان في حياته كلِّها حين قال: «**لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتتْ منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرةً فاضطجع في ظلِّها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهمَّ أنت عبدي وأنا ربُّك.. أخطأ من شِدَّة الفرح**».

إنَّ التوبة رحلة خلاص من أوضار الذنوب، ورحلة عتق من ربق الشَّيطان، ولحظة قرار يعزُّ فيها الإنسان

من ذلِّ الشـــهوة، ورحلة صفاء ونقاء في طريق الحياة الطويل، وفي المقابل بداية عهد جديد بين الإنســـان وبين ربه، عودة بعد هرب، وحرية بعد رق، وصفاء بعد خوف وذلِّ!.

فهــل يعي الإنســـانُ هــذه اللحظــات الكبــرى في حياته؟!.

إنَّنـــي لم أتصوَّرْ بعــد كيف أن الفــرح بتوبة العبد يصل بالله تعالى إلى صورة الأعرابيِّ الَّذي فَقَدَ دابَّته، فلمَّا عادت قال فرحــاً: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربُّك**» إنَّهــا لحظاتٌ تدعــو للتأمُّــل والتدبُّر! لحظــاتٌ يقف فيها كلُّ إنســـان مبهوتاً أمام هذا الحديث في الأرض! ولحظات بهذه المعاني لحظات حقيقةٌ بالإقبال وخوض غمارها ومعانيها في حياة كلِّ إنسان.





افتح عينك على النهاية

افتح عينك علـــى النِّهاية! كلُّ عمـــل تكتبه أو تسعى إليه أو تفكِّر فيه لا ينفك نظرك عن مآلاته ونهاياته.

إنَّ العاقل يتحرَّك في الدُّنيا وهو يعلم أنَّ كلَّ خطوة مكتوبة موثوقة، وســـتأتي لحظات القيامة بكلِّ صورها وأشـــكالها في ذات الزمـــان والمكان.. وفـــي الجانب الآخر ينبغي أن يدرك كلُّ إنســـان أنَّ ســـاعة لقاء اللّٰه تعالى لا يمكن إدراكها.

فليبادرِ الإنســـانُ لحظاته، وليتخلَّص من كلِّ شـــيء بينه وبيـــن اللّٰه تعالى، أو بينه وبيـــن الناس، فإذا ما أتت لحظة الوداع لقـــي اللّٰه تعالى وليس ثمَّة شـــيء يستحقُّ البكاء.

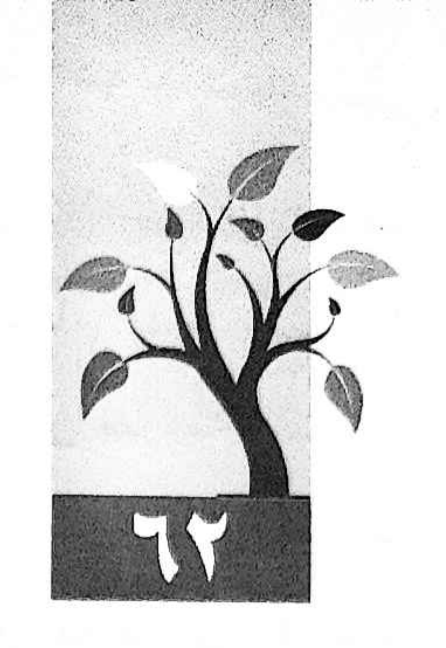
لقد كان هذا المعنى يشغل نبيَّك ﷺ في كلِّ لحظة من حياته؛ فقد صلَّى العصرَ، فسلَّم وقام مسرعاً يتخطَّى رقاب النَّاس، ففزع النَّاس من سرعته، فتوارى عنهم، ثمَّ خرج إليهم بعد ذلك ليقول لهم: «**ذكرتُ شيئاً من تبرٍ عندنا، فكرهتُ أن يحبسني، فأمرت بقسمته**»..

والتبر: قطع من الذهب أو الفضة.

فتأمَّل جلاء هذا المعنى في ذهن رسول الله ﷺ! وكيف أنَّه بادر لحظته ولم ينتظر حتَّى يتفرَّق النَّاسُ!.

وقد مرَّ بك أن قاطع غصن الشَّوك من الطريق لقي الجنة وهو في الأرض، وإماطة الأذى عن الطَّريق صدقة، وبكلِّ خطوة تخطوها إلى الصَّلاة صدقة.

إنَّ من كمال عقل الإنسان أن يبادر لحظاته، وألَّا يترك شيئاً يمكنه أن يسأل عنه في يوم القيامة، وأن يهرع إلى كلِّ لحظة تكتب حظَّه في الدَّار الآخرة أوفى ما يكون.



لا تقلّل من قدْرِك

إيَّاك أن تشعر بالدُّونية في أيِّ موقف تقف فيه مهما كان الذي يقف أمامك تلك اللحظة!.

إنَّ الله تعالى خلقك كبيراً، وجعلك حرّاً، ولم يجعل أمرك بيد مخلوق، وهذه الحقائق ينبغي أن تملأ قلبك، وتجد لها مساحة عريضة في حياتك.

إنَّ أعظم خسارة يجدها إنسانٌ في حياته هي خسارة مكانته الَّتي منحها الله تعالى له، وملّكه إياها، فإذا ما جعلها الإنسان بأيدي الآخرين، وملَّكهم زمامها، وأعطاهم قيادها، فقد حجَّم واقعه، وسلب نفسه أعظم مقوِّمات الحياة الكريمة.

إنَّ علينا أن نعيش ونحن نجد وهْجَ العزَّة في نفوسِنا،

ونبتهج ونُسَــرَّ بكلِّ مقوِّمات النَّجاح في حياتنا، وندرك مع ذلك أنَّنا نحن فقط الذين نستطيع أن نهبَ لأنفسنا السموَّ والرِّفعة والمعالي، وليس أحد من الخلق.

كم من إنســان يقف أمام المسؤول وقدماه لا تكاد تثبت على الأرض خوفاً من إنســان مثله! وكم من عبدٍ في رقِّ وظيفته! وكم من ثالــث يكذب وهو يرى الحقَّ أبلجَ من الشَّمس طلباً لرضا إنسان!.

إننا حين نترك هذه المعاني في نفوسنا، إنَّما نضع حرياتنا في القيد، ونوهن عزَّتنا، ونكبِّل كلَّ ما نملك من قدرات، ونترك للآخرينَ حريــةَ العبث بها كيفما أرادوا.

إنَّ علينا أن نقرر ما نفعــل، ونفعل ما نريد، ونأتي ما نحــبُّ، ونترك ما لا نريــد، ونصنع قرار أنفســنا بالكيفية التي نشــاء، وكلُّ ذلك في الحدود الشَّرعية التــي أذن الله تعالى بهــا، وليس لمخلــوقٍ مهما بلغ شأنُه أن يقفَ دون أماني الإنسان وآرائه ومعتقداته.



النَّقدُ

قبول النقد سِمةُ الكبار، وحصول النقد دليل العمل والحرث في الأرض، وكلُّ عاقل عليه أن يقبل النقد ويحتفي به مهما كان شأنه تلك اللحظة على نفسه.

علينا أن نقبل النقد مهما كانت مرارتُه وأثره!.

إنَّ اللحظة التي ينتقد فيها الإنسان هي اللحظة التي تدلُّ على وجوده وعمله وأثره، ولحظة النقد هي لحظة البناء الحقيقيِّ في حياة كلِّ إنسان.

إنَّ النقد مهما كان مرّاً على نفسك يظلُّ محفوفاً بجوانب مشرقة، وتجد فيه ما تمضي به في الطريق كبيراً عزيزاً، خذ من النقد الجانب المشرق، وتعلَّم

منه كيف تدفع به خطوتَك للمقدمة، وما لا يعنيك من ذلك فدعه لا يهمك، وليس على ظهرك منه شيء.

تعلَّم كيف تستقبل فواجع النَّاس، وكيف تجد لهؤلاء محمَلاً تحملهم به على الخير، وكيف تستفيد من كلِّ رسالة تصلك وتصنع منها معروفاً لمرسلها.

إنَّ النقد مهما كان سيِّئاً في أسلوبه، وزمانه، ومكانه؛ يمكن أن يجدَ الإنسانُ في ظلامه بصيصَ نور يستضيء به في طريق مستقبله..

وعلينا أن نؤمن أن النَّقد لم يسلمْ منه أحدٌ في الأرض، والكبير يأخذ منه ما يعينُه على المضيِّ والترقِّي في المعالي، ويطرح باقيه على قارعة الطريق؛ تركله المارَّة وتذهب بما فيه.

إنْ لم يزدْنا النقد رفعةً، ويدفعنا للمقدمة، ويجلب لنا الخيرات، ويأتي بكلِّ فضيلةٍ فلن ينقص من تاريخنا في الأرض شيئاً.





٦٤ التَّقليدُ

من أسوأ الأشياء في حياة الإنسان أن تجده مولعاً بالتقليد! لا تجد له شخصية مستقلَّة، ولا رأياً مستقيماً، ولا منهجاً واضحاً، كلَّ يوم تراه في صورة..

إنّ مثل هذا يصدق عليه وصف الإمَّعة؛ كلَّ يوم في وادٍ لا تعرف له قراراً، ولا تجد له ثباتاً.

رأيتُ من هؤلاء من يتحمّس لرأي ويعلنه ويعتقده، ويكوّن له صورة مثالية، وتكتشف في النهاية أنَّ هذا ليس رأيه ولا وجهته، وإنَّما رأيُ صحفيٍّ في جريدة، أو حديث في قناة فضائية، أو كلمة في مجلس عابر، وهكذا يظلُّ يبني تصوُّراته ومعتقداته على آراء الآخرين، وقد يأتيك في يوم آخر برأي آخر وصورة مختلفة؛ لأن المتحدِّث اختلف، وكاتب العمود الصحفي تغيَّر.

وتمتدُّ هذه الصُّورة من صور عقليَّة فكريَّة يبني عليها التصوُّرات إلى صور جسدية يبدو فيها يوماً بلباس، ويوماً آخر بلباس آخر، وتراه يعبث في وجهه ورأسه بصور غالبها تقليد لآخرين في فضائيات، وهكذا يظلُّ أرجوحةً بين أفكار الآخرين، ويمضي به الزَّمن وهو لا يعرف استقراراً، ولا يجد له في حياته ثباتاً.

إنَّ الاختلافَ سُنَّةٌ طبيعية، ومضي الإنسان وراء الآخرين في كلِّ شيء دليل ضعف قدرة، واهتزاز شخصية، وعدم قدرة على التفكير والتمايز في حياة الإنسان.

وعلينا أن ندرك أنَّ الله تعالى خلق الإنسان، وجمَّله بالعقل، ومكَّنه من اختيار كلِّ شيء بنفسه، ولم يجعل لأحد من الخلق عليه سلطةً في قرار أو فكرة أو عمل، وعلى كلِّ إنسان يدرك هذه المقوماتِ الكبرى في شخصيته أن يصنع له شخصيةً مستقلة، وأن يسير بناءً على عقله وفكره، لا على آراء الآخرين وتوجُّهاتهم مهما كانت في ظاهرها كبيرة ومؤثِّرة.





٦٥ عَثَراتُ الطّريق

كلُّ ما تلقاه في حياتك مــن عارض مصيره إلى الزَّوال، وكلُّ مشــكلة تجدها في طريقك لها لحظة نهايــة، وكلُّ ظرف تجــود به الأيام عليك ســتأتي اللحظات بوداعه!.

هذه هــي حقيقــة الحيــاة كلِّها، تفجــؤك المحن، وتعترض طريقك العقبات، وتقف أمامك المشــكلات، وتظنُّ تلك اللحظة أن حظَّــك عاثر، وأن نصيبك من الدُّنيا الفشــل، دعك من هذا الوهــم، فالدُّنيا مليئة بالمفاجــآت؛ وهي مليئــة كذلك بالأمــل الكبير الذي يمحوها.

إنَّ الله تعالى علَّمنا في ســورة الشــرح درساً بالغ الأهميــة؛ وهو أنَّ كل عســر محفوفٌ بِيُســرين، وليس

بيُسـر واحد؛ قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ ـ ٦].

وعلَّمتنا الحياة أنَّ كلَّ مكلوم في نفسه أو ماله أو أهله؛ إذا صبر فهو مخلوف بأعظم الخلف في الدَّارين، ولم نرَ في مساحة الدُّنيا كلِّها أنَّ عقبات الدنيا وقفت ماثلة لم يتحرَّك منها شيء، وها هي ظلمة الليل مهما كانت حالكةً يدفعها نورُ الفجر وفلق الصبح كلَّ يوم.

فإذا ما فجأتك مصيبة، وقابلتك مشكلة، ووقفت أمام طريقك العثرات؛ فلا تحسب أنَّ الأمل توقَّف، وأنَّ التوفيق تخلَّف، وأنَّ الحياة ستنتهي.. كلا! إنَّما هي بعض ما في الطَّريق، وتملك بعد توفيق الله تعالى الأسباب الدافعة لتلك العقبات والعثرات التي تعترضك.



٦٦ الدِّينُ

الدِّينُ معنًى جميلٌ في النَّفس قبل أن يكون صورة من صور العبادة الظاهرة.

الدِّينُ يجب أن يكون أولاً في قلب الإنسان صفاءً ونقاءً وحبّاً، يحمل صاحبه على كلِّ معنى جميل، ثم ينزل بعد ذلك إلى الواقع يبني صوراً لا حصر لها من الجمال والإخاء والفاعلية.

الدِّين محبَّة وألفة في قلب صاحبه لكلِّ مسلم يراه على ظهر الأرض.

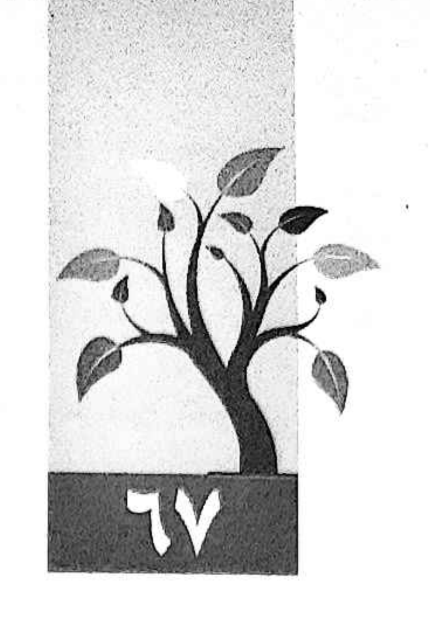
إنَّ بعضاً من النَّاس يحسن فنَّ التعبُّد في المسجد، ويجهد فيما بينه وبين الله تعالى، وحين تفتِّش قلبه، أو ترى تصرفاته، أو تسأل عنه زوجه وأهله وجيرانه؛

ترى وتسـمع صوراً منفِّرة وسـيرة بذيئة، ويحسب أنَّ الدِّين هو مجرد شـعائر عبادية يقوم بها في المسجد فحسـب، وما عدا ذلك لا يرعى حقّـاً للّٰه تعالى فيه، ولا يقوم بحقٍّ مخلوق.

إنَّ هذه الصُّورة تتكرَّر في حيـاة كثير من النَّاس، وتتوسَّـع بشـكل غريب، وهذا أحد المفاهيم المغلوطة في حياة كثير من النَّاس.

الدِّين كما هو صور من الخشوع والتعبُّد للّٰه تعالى، ومعاناة تكلف العبادة بين الإنسـان وربِّـه تعالى؛ هو كذلك صور من الحبِّ والرَّحمة والإخاء الصَّادق فيما بين الإنسان والخلق، وعلى كلِّ إنسـان أن يحسن فنَّ التعاملِ، وينشـر صور الرحمة، ويهـدي صور التعاون لكلِّ من يلقاه، ويحمل روحَ الحبِّ والإخاء لكلِّ إنسان يلقاه في رحلة هذه الحياة، ويعيش الدِّين معنى جميلاً مع النَّاس كما هو معنى جميل مع ربِّ النَّاس.





٦٧ اللِّسان

إذا أردتَ أن تعرف قيمة الدِّين في حياة إنســـان؛ فارصد حركةَ لســـانه كلَّ يوم؛ فإنها غالباً ما تكوِّن صورةً حقيقية على قدر دين الإنسان.

إن الألســـنَ مغاريفُ القلوب، والكلمة تمثِّل شيئاً كبيراً في حياة الإنسان.

لقــد بيّــن النبــيُّ ﷺ أثــر الكلمة فــي حياتنا، فقال: «إنَّ الرجـــل ليتكلَّم بالكلمة من رضوان الله تعالى، ما يظنُّ أن تبلغ مـــا بلغت، فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامـــة، وإنَّ الرجل ليتكلَّم بالكلمة من ســـخط الله تعالى، ما يظنُّ أن تبلغ ما بلغت؛ فيكتـــب الله عليه بها ســـخطه إلى يوم القيامة».

فتأمَّل كيـف أنَّ الكلمة الطيبة تحلُّ على الإنسـان رضوان اللّٰه تعالى! والكلمة السَّـيئة تحلُّ عليه سخطه وغضبه وعقابه!.

ما أحوج الواحد منَّا أن يتفقَّد لسـانه، ويعرف قدر كلمته، ويدرك النِّهاية الَّتي يدفعها إليه التَّسـاهل في أعراض النَّاس.

إنَّ ترك الإنسان الحرية للسانه يخوض به في عباد اللّٰه تعالى كيفما شـاء دليل نقص ديـن، وقلَّة توفيق، وضعف إيمان، وسـتظلُّ كثير من حالات الفشـل التي يعيشها الإنسـان في حياته بعض آثار هذه الكلمة في واقعه.

وإذا أراد الإنسانُ أنْ يعيش حياته في أوسع وأجمل صورها، وأرفع معانيهـا؛ فليكمِّم لسـانه عن أعراض النَّاس، وليجهد في تدريب نفسـه على تعظيم حرمات الأعراض، وسيلقى الجزاء في الدُّنيا قبل الآخرة أوفى ما يكون.





٦٨ كمِّل نفسَك

إذا أردتَ أن تعيش كبيراً في الحياة؛ فخذْ من كلِّ إنسان أجمل صفة، وأروع خصلة، وأرفع قيمة.

إنَّ الصِّفات الإيجابيــــة لا تكتمل كلها في مخلوق واحد، وإنَّما تتناثر وتتقاسم على الخلق، وكلُّ عاقل ينبغي له أن يأخذ من كلِّ إنسان الصِّفة التي يتميَّز بها، والخلَّة التي يتحلَّــى بها، والخصلة التي تمتد في حياته كلِّها.

إنَّك تجد إنساناً طيب القلب، نقيَّ السريرة، وتجد آخر سمته أكثر من حديثه، هادئاً في مجالس النَّاس، منضبطاً عــن كلِّ ســوء، وتجد ثالثــاً كريمــاً جواداً معطــاءً، ورابعاً حريصاً على وقته يبــادر لحظاته بكلِّ مفيدٍ، فلــو وضعتَ عينك على هــذه الصفات، وأخذتَ

من كلِّ إنســان صفة جميلــة رائعة؛ لكنــتَ بعد فترة من الزمن إنســاناً كبيراً رائعــاً بمجموع هذه الصفات الكثيرة في شخصك.

وهكذا ينبغي أن يعيش كلُّ إنســان في حياته؛ يضع عينه على الجوانب المضيئة فــي حياة النَّاس، ويأخذ منها ما يجعله أكثر إشــراقاً في الحياة، فإذا ما كان الإنســان كذلك ظلَّ هذا الإشــراق يمتدُّ فــي حياته، وتتوسَّع دائرته حتَّى يكوِّن في النهاية الصُّورة الكبرى التي كان في يوم من الأيام يحلم بالوصول إليها.





٦٩ كُنْ كبيراً

يخطئ كثير من الناس حين يجعل حياته مقصورة على التَّوافه، ومجبولةً علــى الصَّغائر، ولا ترى له في حياته هدفاً كبيراً، ولا رسالة عظيمة!.

تجده كعامــة النَّــاس لا قيمة له فــي الحياة، ولا صوت له مسموعاً في مجتمعه، ولا رحلة له للمعالي..

ينام ويســتيقظ، ويقوم ويقعد، ويسافر ويعود، وكلُّ ذلك بلا هدف ولا قضية.

والنَّاس عادة لا تمنح وقتهــا وفكرها وقضاياها إلا لمن تجد عند فكرة مضيئة، أو مشاركة حية، أو عوناً على فضيلة، فإذا ما خلي إنســانٌ من هــذه المعاني؛ بات جافّاً كالجسد؛ لا قيمة له إلا بالروح.

إنَّ كلَّ إنسان مدعوٌّ وهو يقرأ هذه الفكرة أن يكتب لنفسه حظَّها ومكانتها من هذه الحياة، وأن يجهد في بناء نفسه بالقدر الذي يمكنه من مشاركة مجتمعه وأمته، وألا يحكم على نفسه بالفشل، أو يرمي بفكره وحياته خارج دوائر التأثير، فيكون بعد ذلك إنساناً لا معنى له في الحياة.

إنَّ العيش بالهدف والأفكار المضيئة والمعاني الكبيرة مضنية ومتعبة في حياة كلِّ إنسان، لكنها تعطي الإنسان معنى الخلافة التي جاء من أجل تحقيقها.





٧٠ الرِّفق

جرِّب أن تخوض رحلةَ الرِّفق في حياتك! حاول أن تعيش هذا المعنى الكبير في نفسك!.

جـرّب الرفق في بيتك مـع زوجك وأبنائـك، درِّبْ نفسـك أن تعيش هذا المعنى الكبيـر مع زملائك في العمل، ومع كلِّ من تختلف معه أيّاً كان.

إنَّ عوائد الخيـر عليك بالرِّفق أكبـر ممَّا تتصوَّر، وأعظم ممَّا تعتقد.

إنَّ الإنسـان حين يحرم من الرفق فـي التَّعامل مع الآخرين يحرم الخيـرَ كلَّه، ويفوِّتُ عليه بذلك شـيئاً كبيراً، حتى قال ﷺ: **«من يحرم الرفق يحرم الخير كله»**.

فتأمَّل كيف أنَّ النبيَّ ﷺ جعل من فاته هذا المعنى الكبير في حياته فاته كلُّ الخير في الحياة!.

إنَّ الحياة لا تطيب إلا بهذا المعنى، ولا تأنس النفوس إلا بقُرْبِهِ، ولا تأتلف القلوب في العادة إلا عليه، وهذا نبيُّنا ﷺ يقول: «**ما كان الرِّفق في شيء إلا زانه، وما نُزع من شيء إلا شانه**».

كم من نفوس حرمت هذا المعنى في بيوتها، مع زوجاتها، وأبنائها!.. وآخرين حرموه كل يوم وهم يلتقون بزملائهم وأصدقائهم، وفاتهم بفواته حظٌّ كبيرٌ من حظِّ الدَّارَيْنِ.

لنتدرّب على هذا المعنى الكبير، ولنجرّب أنفسنا في خوض غماره والتعرّف على عوائده، وحين نخفق مرة علينا أن نبحث عن تجربة ثانية، ونكرَّ عليه من زاوية أخرى، ونبحث عن مواطنه في مواقف جديدة، ولعل الزمن كفيل بإذن الله تعالى ببروز هذه الصِّفة، وصفاء هذه اللحظات في حياة الباحث عن هذا الحلم.





٧١ القلبُ السَّليمُ

ليكن قلبُك سـليماً على النَّاس، هذه من أعظم النَّصائح الَّتي تُقَدَّم لك.

كن مستعدّاً لأن تلقى الله تعالى في كلِّ وقت وأنت سليم القلب، طيب السيرة!.

إنَّ مشكلات الحياة كثيرة، وسيظلُّ الإنسان معرّضاً كلَّ يوم إن لم يكن كلَّ لحظة للاصطدام بمشـكلاتها ما لم يكن يقظاً، حريصاً على ألا يمسَّ قلبه من ذلك شيء.

إنَّ نجاة الإنسـان يوم القيامـة موقوف على صلاح قلبه، قال تعالـى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

وقـال ﷺ: «**يدخـل عليكم الآن رجـلٌ من أهل**

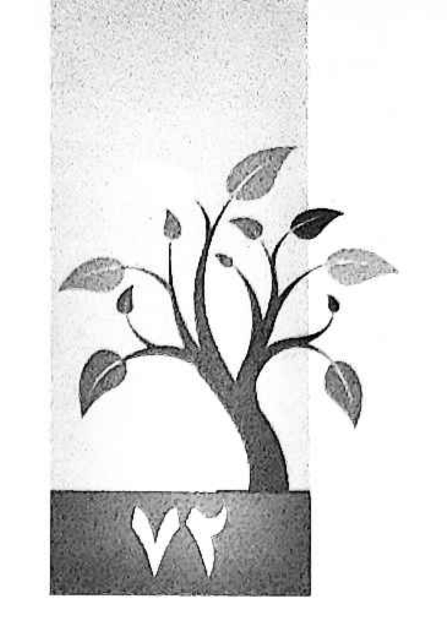
الجنة» ثلاث مرات، ولما سئل الرجل، قال: إنِّي لا أبيت ليلة من الليالي وفي قلبي غلٌّ ولا حقد على أحد من المسلمين.

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذا الباب كلمة تدلُّ على متانة قلبه، وجميل خصاله، حين قال: «إني لأسمع بالمطر يصيب أرض المسلمين فأفرح وليس لي في أرضهم ماشية، وأسمع بالقاضي يحكم في القضية فيعدل فأفرح وليس لي إليه خصومة».

وعلى كلِّ عاقل أن يتحكَّم في مشاعره، ويحرص على صفاء قلبه، ويجهد في تحقيق هذه الغاية الكبرى التي تدور عليها نجاة الإنسان وفلاحه عند ربِّه تعالى يوم القيامة.

ما أحوج الواحد منَّا إلى عنايته بقلبه، والحرص كلَّ الحرص ألا يمسَّ سلامتَه شيءٌ من أعراض الدنيا، والحفاظ عليه من أن تصدمه الحوادث، أو تثلمه المواقف، فيمرض أو يموت، فتكون عاقبة ذلك الخسران في الدَّارَين.





صفاءُ الحياةِ

لن تصفو هذه الحياة لأحد من الخلق! بل ستظلُّ لكلِّ من تراه فيها محمَّلـــة بالكدر والأذى، والتعب والمعاناة.

إنَّ الله يخبر عن هــذه الحقيقة فــي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤].

وإلى تاريخ هــذه اللحظة لــم تَجُدِ الأيـامُ برجل مســتريح من لأواء هذه الحياة ومشــاقِّها، وقد أخبر نبيُّنا ﷺ عن بعض مشاهد هذه الحياة في نفس الغنيِّ المترع بالأمــوال، فقال: «**لو أنَّ لابـــن آدم وادياً من ذهب لابتغى إليه ثانياً، ولو أعطي ثانياً لابتغى إليه ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب**».

وقد رأيتُ من لم يتزوَّج شقيَ بطلب شريكة حياته، فإذا ما وجدها شقيَ بطلب الولد، وقد يتأخَّر الإنجاب فيسلك كلَّ طريق، ويبذل كلَّ ماله، ويجهد في تحصيل هذا الولد ما أمكنه، فإذا ما منَّ الله تعالى عليه بالولد جهد في النفقة عليه وتربيته والقيام بحقه، وربما ندم على كلِّ ذلك.

وصدق الشاعر حين قال:

جُبِلَتْ على كدرٍ وأنتَ تُريدها

صَفْواً من الأقذارِ والأكدارِ

ومكلِّفُ الأيامِ ضدَّ طباعِها

متطلِّبٌ في الماءِ جذوةَ نارِ

إنَّ علينا أن ندرك أنَّ هذه هي حقيقة الحياة، وأنَّ كلَّ من تراه فيها مهما أُوتي من هذه الدنيا يعيش ذات الحقيقة التي تعيشها أنت لا فرق، ومهما كانت الصُّورة الظاهرة لك؛ فإنَّها لا تعدو أن تكون مجرَّد صورة فحسب، وما أحسن وصف القائل:

صغيرٌ يشتهي الكِبَرَا	وشَيْخٌ ودَّ لو صَغُرا
وخالٍ يشتهي عَمَلاً	وذو عملٍ به ضَجِرا
وربُّ المالِ في تَعَبٍ	وفي تَعَبٍ مَنِ افْتَقَرا
ويَشْقَى المرءُ منهزماً	ولا يرتاحُ مُنتصِرا





٧٣ ابتسِمْ

ابتسم: فالابتسامة سهلة في العمل، كبيرة عظيمة في الأجر.

وقد قال نبيُّك ﷺ: «**وتبسُّمك في وجه أخيك صدقة**».

وهي رسالة تدلُّ في لحظتها على راحة بالك، وطمأنينة نفسك، وجمال شعورك، ما أجمل أن نهبها لزوجاتنا في البيوت علامةَ رضا، وأن ندفعها لأبنائنا حين نلقاهم دليلَ سرورٍ وسعادة، وأن نعطيها لكلٍّ من نلقاه دون مقابل؛ لندفع بها غوائلَ القلوب، ومكدِّرات الحياة.

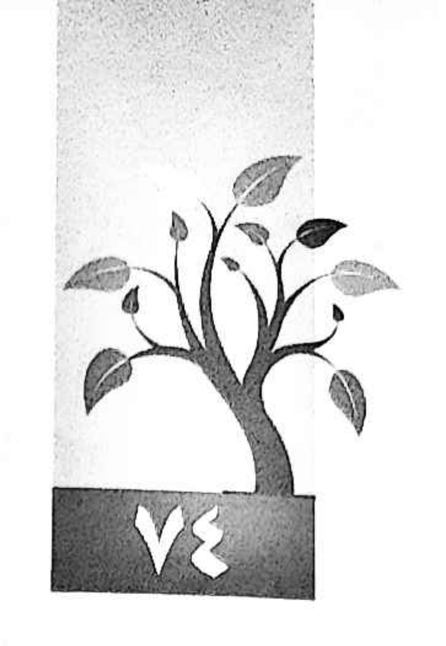
إنَّ الحياة تبدو متجهِّمةً من الواقع الذي تعيشه، وما لم تعطِّر أنفاسَها لحظاتُ الابتسامة، وإلا يوشك أن تنفجر!.

ما أكثر المرهقين اليوم من واقع الحياة! البائسين مـن آثارهـا! وأكثر ما يحتاجـون لعلاج هـذا اليأس ابتسامة يدفعها الإنسان وهو خارج في الصَّباح الباكر، ويهديها وهو يمرُّ في كلِّ طريق، ويهبها لكلِّ من يلقاه دون مقابل سـوى التعبير عـن بهجة الحياة وسـرور اللحظات.

يغدو إنسان من بيته في الصَّباح، فيعود في لحظات العشـيِّ وقد ملأ ميزانـه بأجورهـا وآثارهـا، ويعود آخرُ مثقلاً مـن العمل، خالياً من الأجـر والثواب من تاريخها..

أتراها مكلفة؟! كلا إنَّها شـيء يسير لا تكلِّف وقتاً ولا مالاً ولا جهداً، وتترك وراءها لحظات الحبِّ تعطِّر حياة الواجدين لها تلك اللحظات، فما أقلَّ تكاليفها! وما أكثر آثارها في الدَّارَين!.





٧٤ المالُ

المالُ متعةٌ من متع الحياة يستطيع الإنسان من خلاله أن يبني آماله وأحلامه.

وقلبُ كلِّ إنسان مجبولٌ مفطور على حبِّه والسكينة به، وقد قال ربك: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، **وهذه الجبلة تعدو في أحيان كثيرة على هذه المتعة فتجعلها نقمة..**

رأيتُ من يهبهم اللّٰه تعالى المال هم أشقى النَّاس به، وأكثرهم تعباً فيه، ما يزال بصاحبه حتَّى يورده المهالك، ويصل به إلى سخط اللّٰه تعالى وسوء غضبه.

يجب أن يكون المالُ مهما كثر في يد الإنسان كالحمار يركبه متى شاء، وكالحمَّام يدخله إذا احتاج

كما يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وينبغي أن يكون في يد الإنسان وليس في قلبه منه شيء.

إنَّ أعظم اللحظات التي يعيشها الإنسان مع المال هي تلك اللحظات التي يعينك فيها المال على برٍّ إنسان، ووصل آخر، ومعونة محتاج، وأسوأ اللحظات تلك الَّتي يدعوك فيها للعقوق.

ما غبط إنسان ما غبط صاحب مال يهبه وقت الحاجة، ويبذله وقت الرغبة!.

وفي الحديث: «**لا حسدَ إلا في اثنتين... ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**».

مشكلتنا مع المال أننا نحبُّه لذاته، ونكره مفارقته، والمنة الحقيقية به أن نحبَّه لما يترتَّب عليه من برٍّ وصدقة، وعون للمحتاجين إليه، وأن نحسن مفارقته في اللحظة التي تكتب فيها الفرصة سعادة إنسان.





٧٥ معاقونَ

إنَّ أعظم أنواع الإعاقة التي يعيشها الإنسان ليست إعاقة الجسد عن الحركة، وإنَّما إعاقة الرُّوح عن العمل والتضحية والبناء..

المعاق حقيقة هو ذلك الذي لا تجد له هدفاً كبيراً في حياته، وليست له رؤية تدفعه للمعالي، وليس لديه مشروعٌ يعيش من أجله في الواقع!.

كم من معاقٍ بنى مستقبله وكتب مجده على أشلاء الإعاقة الحسية! وكتب في حياته قائلاً: لولا تلك الإعاقة وذلك المرض لما كتب الله تعالى لي هذه الروح التي أجد رحلتها الكبرى في حياتي.

عاش **ابنُ عبَّاس** ﵄ آخر حياته أعمى، وظلَّ مع ذلك إمام الدنيا في العلم.

وسجّل **أحمد ياسين** على أرض فلسطين أروع ملاحم الجهاد في سبيل الله تعالى وهو مشلول.

وما رحل **ابن باز** من الدنيا حتى ملأها ذكراً عاطراً، وعملاً كبيراً، وهو أعمى لا يبصر شيئاً من الدنيا.

وكتب **مهنّد أبو دية** وهو شابٌّ أعمى ما يزيد على اثنين وعشرين اختراعاً، وهو ما زال في مقتبل عمره.

وكلُّ هؤلاء أرادوا أن يقولوا للناس: إنَّ الإعاقة ليست هي تلك التي تصيب الجسد فتأخذ بعض أعضائه، وإنَّما هي تلك التي تسكن في القلب فيغيب صاحبها عن العمل والتضحية والبناء، ولو كان من أقوى النَّاس جسداً.

وفي زماننا المعاصر أمثلة تزيد عن الحصر؛ كلُّها كتبت تعريفاً آخر للإعاقة، ومحتْ من عقولنا أن كلَّ ما نراه بأعيننا من حوادث وفواجع؛ ليست عذراً يُبعد الإنسان عن النَّجاح والإبداع والعمل.





٧٦ لترتقيَ

اسمع شيئاً رائعاً كلَّ يوم! هذه نصيحة ثمينة كتبتها التَّجربة، ورأيتُ آثارها واقعاً في حياتي كلَّ يوم.

غالباً ما يؤثِّر على الإنسان ما يقرؤه أو يسمعه، ولذلك من الضرورة لكلِّ إنسان أن يحرص على قراءة وسماع ما يدفعه للتفاؤل والنجاح والعمل..

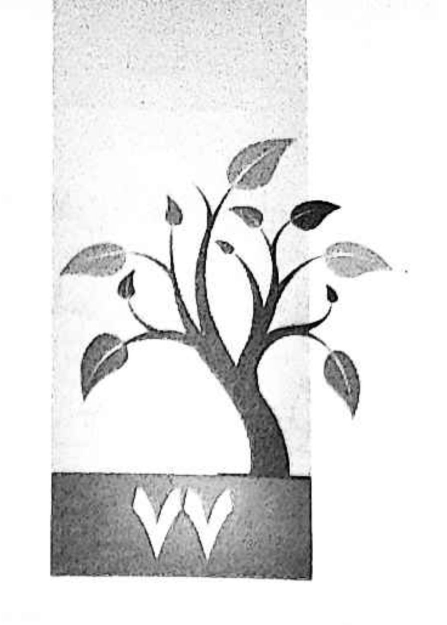
في الصباح الباكر وأنت متَّجه إلى عملك اجعل لك شريطاً في سيارتك يحكي لك تجربة ناجحة، أو يقصُّ عليك سيرة إنسان ناجح، أو يتحدَّث لك عن قصة الأهداف في حياة الإنسان.

إنَّ حرصك على تطبيق هذه التجربة يكفل لك أن تتقدَّم خطوات كبيرةً في عملك مهما كان الواقع الذي تعيشه في ذلك العمل.

إنَّ مشكلتنا أنَّنا لا نقرأ، وحتَّى السَّماع لم يعد شيئاً مؤثِّراً في حياتنا، وإذا سمعنا سمعنا شيئاً لا يدفعنا لتحقيق آمالنا بقدر ما يؤخِّرنا عن تحقيق غاياتنا.

لقد جرّبتُ في حياتي لفترة طويلة أنَّني كنت أخرج من بيتي إلى العمل كلَّ يوم، وأحرص على سماع شريط في رحلة النَّجاح، وكنتُ أقطع في كلِّ يوم أكثر من عشرين كيلومتراً كانت كفيلة ألا أصل عملي كلَّ يوم وإلا والبهجة أخذتْ من قلبي كلَّ شيء، وكم ترك هذا السماع من آثار في حياتي! بل لو قلتُ: إنَّني مدين في كثير من نجاحاتي إلى تلك المسافة الَّتي أقطعها كلَّ يوم باتجاه العمل لما كان ذلك بعيداً.

جرّب أن تسمع شيئاً جميلاً كلَّ يوم، واحرص على أن تكون لحظات الصَّباح هي أولى تلك اللحظات بذلك الاستماع، وسترى النتائج التي تريد عمَّا قريب بإذن الله تعالى.



لا ترهقْ تفكيرَك

إرهاقُ التفكير مسؤولية من؟..

مسؤولية كلِّ إنسان مع نفسه..

رأيتُ من يسـعى لتشـويش تفكيره، ويجهد في إرهاق نفسـه، ويعبث بنفسيته كلَّ يوم وهو لا يشعر بأثر ذلك ولا مسؤوليته.

كلُّ إنسان فينا مسؤول عن توفير بيئة مناسبة، يفكِّر من خلالها بطمأنينة، ويوفِّر بها جوّاً رائقاً للتفكير من خلال ما يقرأ أو يسمع.

رأيتُ كثيرين يجهدون في تشويش أفكارهم من خلال الهاتف المحمول كمثال؛ فيشـترك في قنـاة إخبارية، و في أحيان كثيـرة في أكثر من قنـاة حرصاً على ألا

تفوته الأخبار، فيتلقَّى كلَّ يوم جملةً من الرَّسائل تعمل كلُّها في خلق بيئة القلق في نفس صاحبها، وتجهد في تشـويش تفكيره، وتعيق نفسيته، وهو يستقبلها كلَّ يوم وفي أوقات مختلفة ولا يرصد تلك الآثار الَّتي تكوِّنها.. يقرأ كلَّ يوم في شاشة جوَّاله: تحطَّمتْ طائرةٌ بركَّابها، وشـبَّ حريق هائل، وقُتل عـدد من النـاس، واعتدتْ خادمة علـى أطفال كفيلها، وحصل حـادثٌ مروِّع ذهب ضحيته عدد من الأفراد.

فما الفائدة التي حصل عليها المشترك في كلِّ هذه الأخبار؟ ومـا البيئة التي يسـتقبلها عقله كلَّ يوم من خلال هذه الحـوادث المتناثرة؟ وكيف يريد أن يعيش هادئاً في ظلِّ هذه الأحداث المؤلمة؟.

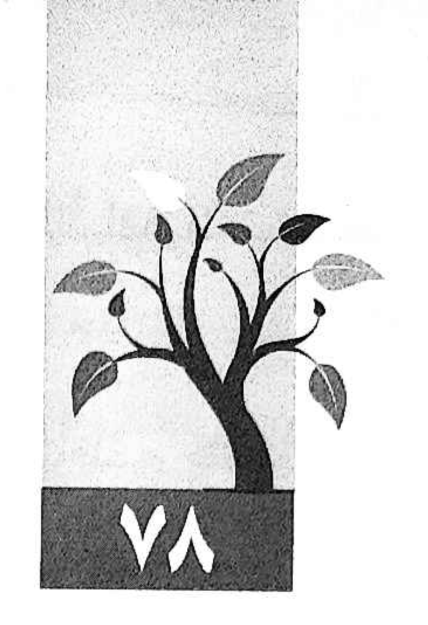
إننا نتعمَّد في أحيان كثيرة أن نخلق بيئةَ القلق في نفوسـنا بأيدينا، و نشـارك بفاعلية في إرهاق عقولنا ونفوسنا بصورة مؤذية كل يوم دون أن نشعر .

ينبغي أن يستثمر الهاتف في كلِّ ما يمكن أن يحسِّن ويطوِّر العـادات، ويخلق جـوّاً من التفكيـر الإيجابيِّ في حياتنا، كأن يشـترك الإنسـان في باقـة التنمية

الشَّخصية، أو الباقات التي تُعنى باللَّياقة النفسية، فإنَّ هذه من أعظم أدوات التأثير في حياتنا.

وعلينا أن ندرك أنَّ عقولنا تتأقلم تلقائيّاً مع المقروء والمسموع بشكل دائم دون أن نشعر بأثر ذلك في غالب الأحيان.





٧٨ العظماءُ

اقرأ شيئاً في سِيَر العظماء!..

حدَّثني أحد طلَّاب العلم أنَّه وضع على مقربة من سرير النوم كتاب «**صفحات من صبر العلماء**» يقرأ فيه قبل أن ينام في كلِّ ليلة عشر صفحات فقط، ونفعني الله تعالى بتلك النصيحة، فكنتُ أقرأ في السِّير الذاتية للكبار قبل لحظات النوم، وأجد لها عبقاً كبيراً في صباح اليوم التالي.

وبدأ هذا المشروع يتوسَّع في حياتي، ووجدت له لذَّة كبرى وأثراً عظيماً، فزدتُ على ذلك حتَّى كنتُ أخصِّص يومي الخميس والجمعة لقراءة هذا النَّوع من الكتب، فأقرأ في كتب السِّير الذاتية،

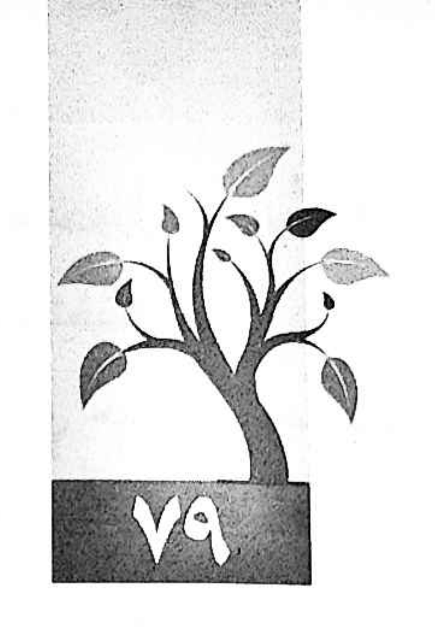
وكتب التطوير الذاتي، ووجدت لذلك من الآثار ما أجد به لذة الإنجــازات الَّتي كانت في حياتي بعد ذلك.

إنَّ كلَّ إنســانٍ مدعــوٌّ أن يتعرَّف على نفســه، وأن يحســن التَّعامل معها، وأن يختار لهــا الطَّريق الأمثل لإشعال حماسها، وكتابة تاريخها..

إنَّ نفوســنا تظلُّ بحاجة ماسَّــة إلى الحادي الذي يعينها على ســلوك الطريــق، والوصول إلــى غاياتها بقوة، وكم من إنســان فــرَّط في هذا الحــادي، ولم يتعرَّف على ما يلهب حماســه ويدرُّ عزيمته، فوهن مع الأيام، وتقلَّصت مشــاريعه، وضعف عــن تحقيق دوره وغاياته في الحياة.

وإنَّ العقل يدعو كلَّ صاحب هدف أن يســأل نفسه هذا السؤال العريض: ما الشيء الذي يدفعني لتحقيق آمالي وأهدافي الكبرى فــي الحياة؟ وحين يجد ذلك الغائب عليه أن يحســن اســتثماره، ويديم الاستمرار عليه، وســتأتي اللَّحظات الَّتي يشــكر الله تعالى على توفيقه وهدايته.

إنَّ ثمَّة كتباً كثيرة في قصص الكبار، وسِيَر العظماء؛ يحتاج الإنسان أن يخصِّص لها كلَّ يوم من وقته ما يكفي لدفع تاريخه نحو المعالي، وليعلم أنَّ كلَّ إنسان بحاجة إلى وقود يتغلَّب به على مكدِّرات الحياة... ويمكن من خلال هذه الطريقة أن يستقبل أهدافه الكبار بكلِّ ما يملك من آمال وتحديات.



٧٩ جَرِّبْ

جَرِّبْ أن تخرج من بيتك لمهمَّتــك وتترك هاتفك المحمول خلفك.

جرِّب أن تســافر مدة يوم أو يوميــن دون أن يكون جوَّالك في رفقتك.

جرِّب أن تقفل جوَّالك يوماً في الأسبوع، تصوّر ماذا سيُحدث ذلك؟.

سيُحدِث شيئاً جديداً رائعاً! ســتكون أكثر هدوءاً وطمأنينةً، وســتجد معنى آخر للراحة والسَّــعادة، وستتعلَّم كم هو ثمن الهدوء في حياتك!.

إنَّ مشــكلتنا أنَّنــا لا نحســن التَّعامل مــع التقنية بالصُّورة المطلوبــة، فبدل أن تكونَ عونــاً على قضاء

حوائج الإنسان ومهمَّاته في أسرع وقت وبأيسر الطُّرق، وتسهِّل مهمَّة الإنسان في الحياة، وتخفِّف من الأعباء عليه، إلا أنَّها أحدثت إرباكاً كبيراً في حياته، وأسهمتْ في ضياع كثير من الأهداف، وبعثرتْ وبقوة أهداف الإنسان وأولوياته، وتحوَّلت هذه الهواتف من مصدر إسعاد إلى مصادر إزعاج وقلق وتشويش في حياتنا..

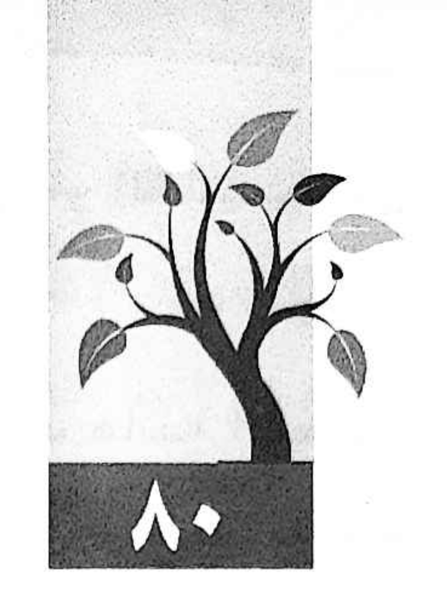
إنَّنا بحاجة إلى تأمُّل وقراءة للأوقات الَّتي توفِّرها لنا هذه الهواتف، والأوقات الَّتي تضيِّعها علينا، وقراءة أثر هذه الهواتف على عقولنا وتفكيرنا، والتأمُّل في حجم الأرباح والخسائر لكلِّ جانب نعيشه، وسيعرف كلٌّ منَّا كم كان بإمكانه أن يعيد التفكير في كيفية استخدام هذه الهواتف، أو تركها خلفه في بعض الأوقات.

إنَّ كلَّ عاقل يدرك كم هي الآثار الإيجابية الَّتي تركَتْها هذه الهواتف في حياته! وفي المقابل يدرك أنَّ ثمَّة آثاراً سلبية صحبت هذه الرِّحلة، وكتبت بعض التأخُّر في بعض الجوانب، وعلينا أن نجرِّب مدَّ الفوائد الإيجابية في حياتنا بأوسع ما يكون، والتغلُّب

على بعض حالات الفشل أو الإخفاق أو السَّلبيات الَّتي تخلِّفها هذه الهواتف.

إنَّ كلَّ إنسانٍ مدعوٌّ أن يجرِّب تركَ هاتفه المحمول بعض الوقت، والاستغناء عنه تدريجيّاً، والاستفادة منه في النِّطاق المهم، وسـيرى كم هي عوائد الخير عليه في قادم الأيام!.





الخريطةُ ليستِ المنطقة

«الخريطة ليست المنطقة» أحد المفاهيم المؤثِّرة في حياة الناس، وهو مفهوم يبيِّن لك أن تصوُّراتك الّتي تحملها في ذهنك عن شيء ما ليست هي الحقيقة لذلك الشيء.

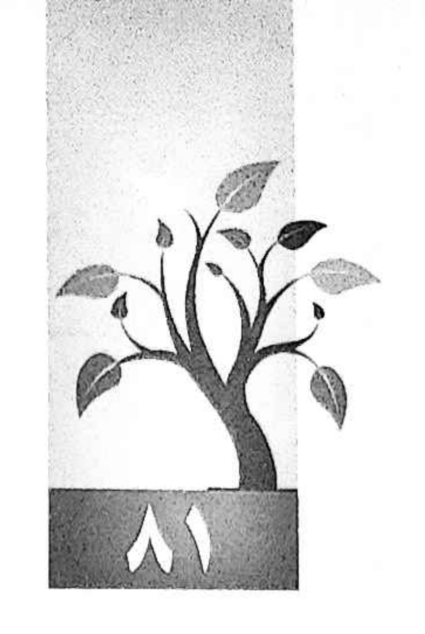
إنَّ بعضاً من النَّاس يضع في ذهنه صورة سلبية لنفسه؛ كعدم قدرته على النَّجاح والتفوُّق، وضعفه في كثير من قضايا الواقع، وعدم فاعليته في برامج تربوية أو اجتماعية، ثم تراه يحصر نفسه في هذه الصُّورة، ويضع لنفسه في النِّهاية خريطة ليست هي المنطقة الحقيقية، ويظلُّ يعامل نفسه على هذه الخريطة الّتي تصوَّرها ذهنيّاً في فكره، بينما الواقع

أنَّ هذه الخريطة ليســت هي المنطقة الحقيقية، وأنَّ لديه مــن الإمكانات والقدرات ما يمكــن أن يكون به كبيراً في واقعه، وعظيماً في حياته.

وذات الصُّــورة الســلبية يضعها عن إنســان آخر، ويبني على هــذا التصوُّر الذهنيّ كثيــراً من التوقُّعات والتصرُّفات، وتمضي به الأيام زمناً طويلاً من حياته، ويكتشف في النِّهاية أنَّ الخريطة ليست هي المنطقة، وأنَّ كلَّ مــا تصوَّره عن هذا الإنســان إنَّما هو وهمٌ لا حقيقية له.

وكذلك تظلُّ الخريطة ليست هي المنطقة في كثير من الأحيان؛ سواء في الأشخاص أو الأمكنة أو الكتب، أو أي شــيء آخر، وتظلُّ الخريطــة الَّتي صوَّرناها في أذهاننا بحاجــة إلى مراجعة، وإعــادة بناء، وتصحيح مفاهيم جديدة كلَّ مرة من حياتنا.





٨١ أفكارُك

أفكار الإنسان هي أكثر الأدوات أثراً في حياته!..

كم من إنسان قيَّده فكرُه، وحبسه الوهم، وأقعده سوء التفكير.

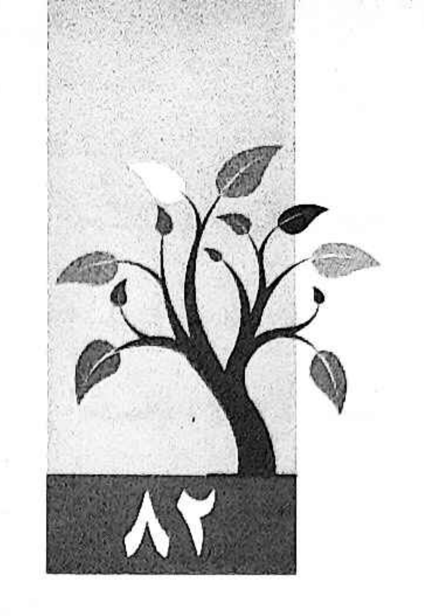
ذكر الطنطـاويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ صورة من هــذا الواقع، فقال: توهَّم رجل أنَّ في بطنه ثعبانــاً، وما زال به هذا الوهم حتَّى أقعده على فراش المرض، فطافوا به المستشفيات والأطبَّــاء وهو يتوجَّع من حركة هــذا الثعبان في بطنه، وحاول كلُّ الأطبَّاء الذي مرَّ عليهم أن يزيلوا هذه الفكرة من رأسه، ويبيِّنوا له أن ذلك مجرَّد وهم لا حقيقة له، فما قدروا على إقناعه، وفطن لذلك الأمر طبيبٌ نفسيٌّ يدرك أثر هذه الأفكار والأوهام على حياة الناس، فجاء به إلى العيادة، وفتَّش عن ثعبان حتَّى وجده، ثم وضعه

في قــارورة، وجاء للرجــل وقال له: اكتشــفنا الحقيقة التي كنتَ تشكو منها، ووجدنا صدق قولك؛ ففي بطنك ثعبان، وســنجري لــه الآن عملية لإخراجــه.. ثم أدخله لغرفــة العمليات، وأخرجــه بعد زمن منها وهو يبشــره بإخــراج الثعبان من بطنــه، وجاء له بالشــاهد قارورة فيها ثعبان يتحرَّك، فاستهلَّ الرجل وفرح وسُرَّ، وقام من فراش المرض كأن لم يكن به شيء.

إنَّ حال كثير من النَّاس مع الوهم كحال هذا الرَّجل تماماً، تجد إنساناً يعتقد أنَّه مصاب بالعين، أو السِّحر، أو غير ذلك من الأمــراض، ويظلُّ مجهــداً مرهقاً من أثر ذلك، وليس به شيء، وإنَّما الوهم يصوِّر له ذلك، ويحبسه عن تنفُّس الحياة الحقيقية في واقعه.

وإذا كان أثر الأفكار بهذه الخطورة على الإنســان، فينبغي لكلِّ واحد منَّا أن يمدَّ في أثر الأفكار الإيجابية في حياته، ويحاصر ما اســتطاع كلَّ فكرة ســلبية، أو وهم عارض يعكِّر عليه صفو حياته، ويذهب من واقعه بهجة النَّعيم، وروح الحياة.





٨٢ تفسَّحوا

قــال تعالــى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ [المجادلة: ١١].

كم هو حقُّ هذه الآية من التدبُّر؟! كم هي اللحظات التي وقفنا جاهدين ممتنعيــن دون تحقيق هذه الآثار في واقع حياتنا!.

كثيرة هي المرَّات التي نفتــح أرجلنا حتَّى لا يجد القــادم مكاناً لــه بيننــا، وكثيرة هي المــرَّات التي تضيق قلوبنا بمن يجد له فرجــة حولنا، وكثيرة هي المرَّات التي نحاول أن نصرف وجوهنا عن الإنســان القادم خشــية أن يتَّجه إلينا راغباً في ســعة مكان.. وكلُّ ذلك لأنَّنا لم ندرك بعد حقيقة هذه الآية ووعد الله تعالى فيها.

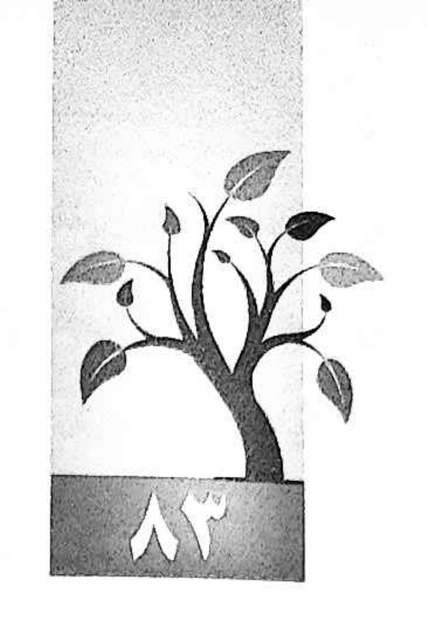
إنَّ الله تعالى هنا يدعونا إلى أن نتوسَّع في المكان الذي نجلس فيه، وأن نهب من المكان مهما كان ضيِّقاً فسحة للقادم ليستريح في جنباته، وقد تضيق تلك اللحظة على إنسان وقد بكَّر إلى مجلسه، ولا يجد متعة في حديثه ولقائه، لكن وعد الله تعالى له أوسع وأرحب وأروع: ﴿فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾؛ يفسح الله لكم في قلوبكم، ويفسح الله لكم في أرزاقكم، ويفسح الله لكم في أوقاتكم، ويفسح الله لكم في بيوتكم وأعمالكم، ويفسح لكم في كلِّ شيء من حياتكم..

يا لها من ثمار لو كنَّا نعقلها! صحيح أنَّ المكان قد يضيق تلك اللَّحظة على صاحبه، وقد يحرم المتعة العاجلة، لكنَّ وعد الله تعالى له أفسح وأوسع من كلِّ أمنية في حياته.

لو أعطينا هذه الآية حقَّها من التأمُّل والتدبُّر لكنَّا نرقب الأبواب في انتظار من نتوسَّع له، ونرقب الأبواب في انتظار من نرحِّب به، ونرقب الأبواب في انتظار ثمار وعد الله تعالى في هذه الآية.

كم فاتنا مــن آثار هذه الآية! لكــن القادمَ أجملُ، والتجربة المنتظرة أوســعُ، وما زال وعــد الله تعالى قائماً ما بقيتِ الدُّنيا.





٨٣ القِيَم

إذا أردتَ أن تعــرف أثر الإســلام وقيمه في بناء الإنسان؛ فاقرأ سِيَر الأجيال التي هتف بها أول مرة في زمن النبــيِّ ﷺ؛ لتقف علــى الحقيقة الكبرى الَّتي لا يصنعها إلا الإسلام فحسب!.

اقرأ في سِــيَر الكبار من الصَّحابــة والتابعين رضي الله عنهم أجمعيــن لترى كيف كانــوا في الجاهليــة وكيف أعاد الإسلام تصوراتهم في الحياة!.

ومن هؤلاء: الخليفة الراشــد أميــر المؤمنين عمر ابن الخطــاب رضي الله عنه، كيــف أثّر فيــه الإســلام وأعاد ترتيب حياته من جديد بعد أن كان يرسف في أغلال تلك الجاهلية بتصوراتها وآثارهــا! لقد كان رضي الله عنه قبل الإســلام صورة من صور القوة التــي لا تحمل هدفاً،

والفكر الضَّائع دون غاية، والحياة التي لا تعرف لها منهجاً في الأرض، ثم جاء الإسلام على هذه الصورة، فصنع منها أعظم سيرة!.

غيّر الإســـلامُ قِيَمَه، وبنى مفاهيمـــه، وجدّد حياته، حتَّى جاءت اللَّحظة الكبرى التي يقول فيها النبيُّ ﷺ: «**يا ابن الخطاب ما سلكت طريقاً إلا سلك الشيطان طريقاً غير طريقك**».

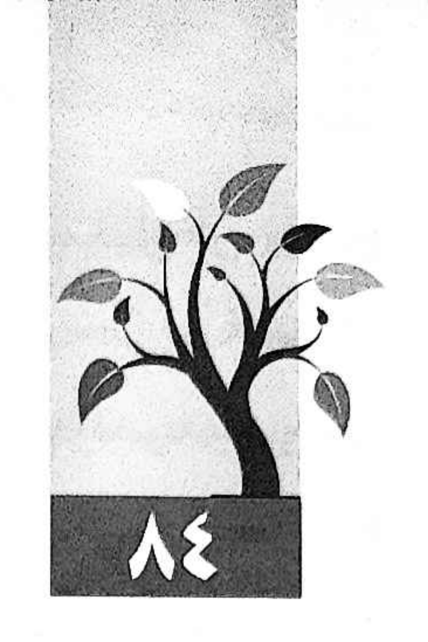
بل قال ﷺ: «**لـــو كان بعدي نبـــي مكلّم لكان عمر**».

وصنع منه الإســـلامُ رجلاً يتحدَّث بالكلمة، أو يرى الرأي، فينزل قول اللّه تعالى من السَّماء بذات الكلمة وذات الرأي، وهكذا الإسلام إذا عاشه الإنسان بكلِّ ما فيه من معانٍ..

إنَّ مشـــكلتنا الكبرى مـــع الدِّين أنَّنا نأخذ اســـمه ونترك قيمـــه ومعانيـــه، أو نأخذ منه صـــورة أو صور ونترك صوراً أخـــرى، وفي النِّهايـــة لا تكتمل الصُّورة التي يريدها اللّه تعالى منّا.

إنَّ الإسـلامَ كلٌّ لا يتجـزّأ، ولا يمكـن أن يكـون صورة كبيرة مؤثِّرة في حياة إنسـان حتَّى يأخذه بكلِّ ما فيه، وسـيرى تلـك اللحظة أنَّه مولـود جديد في الأرض ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقـرة: ٢٠٨]؛ ليـس في صورة ولا جزئيـة ولا زاوية، وإنَّما الإسلام كلُّه.





٨٤ قاعدة (١٠/٩٠)

قاعدة (١٠/٩٠) قاعدة رائعة؛ تقول لنا: إن (١٠٪) فقط من الحياة يتشكَّل لنا من خلال ما يحدث لنا، و(٩٠٪) من حياتنا تشكِّلها ردود أفعالنا تجاه مواقف الآخرين.

إنَّ الإنسان لا يملك أن يقف في طريق كلِّ ما يحدث له، لكنَّه يملك أن يتحكَّم في التصرُّفات الَّتي يحدثها تجاه كلِّ ما يحدث.

علينا أن ندرك أنَّ مواقفنا وردود أفعالنا تجاه أحداث الحياة ومواقف الآخرين فيها هي الَّتي تشكِّل غالب حياتنا..

حين يسيء إنسانٌ أدبَه عليك، أو يتأخَّر آخر عن

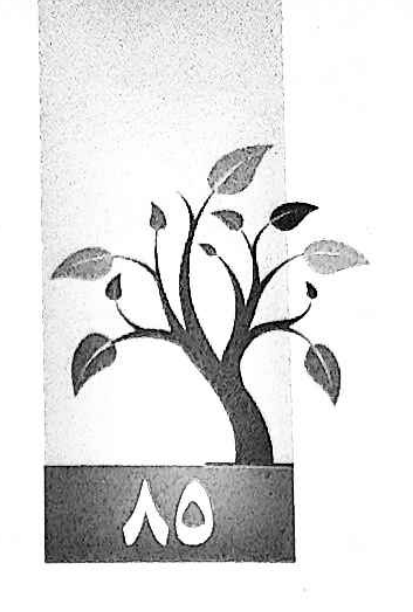
إعطائك حقَّك، أو يحدث أي تصرُّف لا يليق تجاهك؛ كلُّ هذا في (١٠٪) فقط أحداث تأتي بها الحياة لا نملك فيها شيء، لكن (٩٠٪) يأتي من خلال تصرُّفاتنا مع هذه الأحداث.

قد يبني الإنسانُ من خلال موقفٍ صداقةً رائعةً؛ يخطئ صاحبه في حقِّه فيعذره، ويعفو عنه، ويتجاوز عن خطئه، وقد يهدم مستقبل إنسان حين يستقبلها متشنِّجاً متعصِّباً رافضاً، غير قابل للنقاش في كلِّ تصرُّف، فيخسر بذلك مرتين: الأولى حين بنى حياتَه على أحداث الآخرين، والثَّانية حين أخفق في التصرُّف في ردود أفعاله تجاه هذه الأحداث.

أودُّ أن أقول لك: إنَّ الأحداث التي لا تملك التصرُّف فيها والتعامل معها هي في غالب الأحيان لا تتجاوز (١٠٪) فقط من أحداث الحياة، وتبقى (٩٠٪) من الأحداث مبناها على ردود أفعالك تجاهها والتَّعامل معها، وحين نحسن استقبال تصرُّفات الآخرين، ونمنحها بعض ما في قلوبنا، ونصبر على

كلفتها، ونجتهد في أن نجد لها بعض الأعذار، ونغضُّ الطَّرف عنها مهما كانـــت كبيرة ومؤثِّرة، تلك اللحظة ســنعيش حياتنــا بالطَّريقــة التي نريد نحــن، وليس بالطريقة التي يريد الآخرون.





٨٥ صِناعةُ الجَمَال

«اصنع شـــيئاً جميلاً في حياتك كلَّ يوم» لا تقف على حافَّة الطَّريق منتظراً!.

يقول نبيُّنا ﷺ توكيداً لهذا المفهوم: «كلُّ سلامى من النَّاس عليه صدقة كلَّ يوم تطلع فيه الشـــمس، تعدل بين الاثنين صدقة، وتعيـــن الرَّجل في دابته فتحمله عليهـــا، أو ترفع له عليهـــا متاعه صدقة، والكلمـــة الطيبة صدقة، وبكلِّ خطوة تمشـــيها إلى الصَّلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطَّريق صدقة».

علينا أن نـــدرك أنَّ الوقت يمضي وبســـرعة فائقة، وينبغي أن تكـــون أعيننا مفتوحةً على الفرص، ومتهيئة لصناعة الواقع وكتابة التاريخ..

إنَّك حين تلقي التَّحية على إنسان؛ تحيي مفهوم الإخاء، وتجذِّر قيم الإسلام، وتكتب لنفسك فرصةً رائعةً في زمن العمل.

وحين تجد عثرةً في طريق النَّاس فتنزل لدفعها عن المارة؛ تدرِّب نفسك على العمل، وتنمِّي في قلبك معاني الحبِّ، وتوسِّع في دائرة إيجابيتك.

وحين تصلح بين اثنين، أو تعين ماراً في الطَّريق، أو تدفع لمحتاج ما يعينه على الوصول لغايته تكتب رحلة الإيجابية في حياتك بكامل فصولها..

إنَّنا نحتاج إلى تدريب أنفسنا على صناعة الأشياء الرائعة في حياتنا، ومدِّ تاريخنا بكلِّ ما نملك من قدرة، ونحيي في نفوسنا وأفكارنا قيمة وروعة الحركة، وبذلك يمتدُّ الخير وتتوسَّع القدوة، وتحيا معاني التَّكافل الكبرى بين المسلمين، وتتجذَّر القيم بشكل كبير في نفوس الناشئة مع مرور الأيام.





٨٦ السَّرائرُ

السرائر أعظم موارد التَّوفيق في حياة إنسان!.

من تجمَّل بالصِّدق فيما بينه وبين الله تعالى؛ ذاع صيته، وعلا ذكره، وانتشر عبيرُ جديثه في كلِّ مكان، وكان ذلك من عاجل هواتف الخير والبر في حياته.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله لقد رأيتُ من يكثر الصَّلاة والصَّوم والصَّمت، ويتخشَّع في نفسه ولباسه؛ والقلوب تنبو عنه، وقدره في النُّفوس ليس بذاك، ورأيتُ من يلبس فاخر الثياب وليس له كبير نفل ولا تخشُّع، والقلوب تتهافت على محبته، فتدبرت ذلك فوجدتُه السريرة، فمن أصلح سريرته فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه، فالله الله في السَّرائر، فإنَّه ما ينفع مع فسادها صلاح الظاهر. اهـ.

إنَّ الصَّادق يعمــل كلَّ عملٍ وقلبُــه متوجِّه إلى اللّٰه تعالى، لا يرجو مــن الناس جزاءً ولا شــكوراً، ويظلُّ يحتسب كلَّ خطوة وكلمة وجهد يقوم به في سبيل اللّٰه تعالى، وحين يكون الإنســان كذلك يرتقي في ميزان اللّٰه تعالى، ويعلو في ميزان المخلوقين.

ما أقبح ذلك الواقع الَّذي يجعل الإنســانَ يعمل كلَّ لحظةٍ من حياته وعينُه تتوجَّه نحو المخلوقين، وتجهد في اســتجلاب رضاهم، للّٰه كم فاتــه من أجر وفضل! وكم ذهب من حياته من جهد دون فائدة!.

ما أقبح الرياء في حياة إنســان! وما أســوأ العمل للمخلوقين!.

جاهد نفسَــك أن يكون لك ســرائر، واعمل على توســيع دائرة الخبايا الصَّالحة في حياتك، وانظر إلى ما بينك وبين اللّٰه تعالى كلَّ لحظة قبل أن تنظر ما بينك وبين المخلوقين، تكبُر مع الزمن، ويُزَيِّن لك كلُّ شيء في الحياة، وتجد عاجل البشرى يهتف بك قبل عواقب الآخرة.





٨٧ لا تتكلَّم فيما لا تُحسن

«من تكلَّمَ في غير فنِّه أتَى بالعجائب» كلمة تقطُر ذهباً من صحتها، أزرى إنسانٍ في الواقع ذلك الذي يتكلَّم في غير فنِّه، ويقف في غير مكانه!.

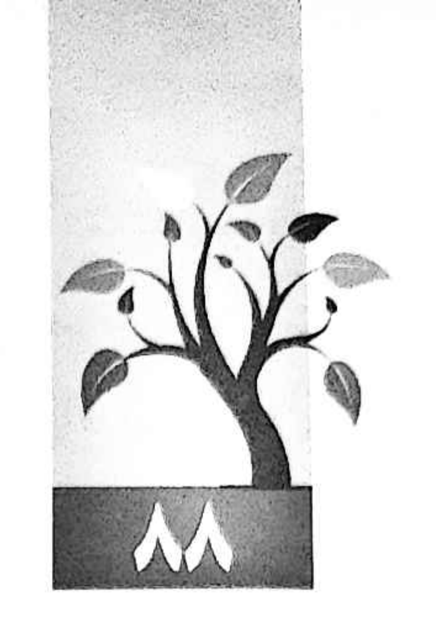
رأيتُ من يحاول أن يكون شاعراً، فلا يعدو أن يكون أضحوكةً في أفواه النَّاس ومن يجهد أن يكون خطيباً، فيخفق في إقناع النَّاس بدينهم، ومن يحاول أن يكون كاتباً، فيحمل النَّاس على هجر الكتاب وترك القراءة!.

ما أجمل أن يعرف الإنسان قدره! ويدرك فنَّه! ويعرف موهبته! فيجهد في صقلها وتنميتها، ويجهد للمعالي من خلالها، ولا يخرج على النَّاس إلا بعد أن يجيد فنَّه، ويصلب عوده، أما أن يكون له في كلِّ فنٍّ

مشاركة، وفي كلِّ لقاء كلمة، وفي كلِّ مناسبة حديث؛ فذلك يكتب على نفسه حظَّها من الفوضى، وسيبقى في النِّهاية حديثاً من أحاديث الناس السَّاقطة.

يجب على كلِّ عاقل أن يدرك أن مشاركته محسوبة أيّاً كانت، وعليه إن أراد التأثير أن يتخصَّص في فنٍّ، وأن يضبط مشروعاً، ويجهد في عناق القمَّة في تخصُّص معين، فإذا ما عرف به وعُني به خرج مشاركاً يؤثِّر في كلِّ سامع، ويكتب حظَّه من حياة النَّاس، ويصبح عظيماً بقدر عظمة ما يحسن في حياته.





٨٨ التَّعالُمُ

التعالمُ في سيرة إنســـانٍ دليلُ نقصٍ، وأقبحُ ما ترى من يشكِّل مشـــيته، ويغيِّر في أسلوب حديثه، ويتقعَّر في كلامه، ويجهد في تحسين جلسته؛ وكلُّ ذلك من أجل أن يوصف بمعاني الكبار!.

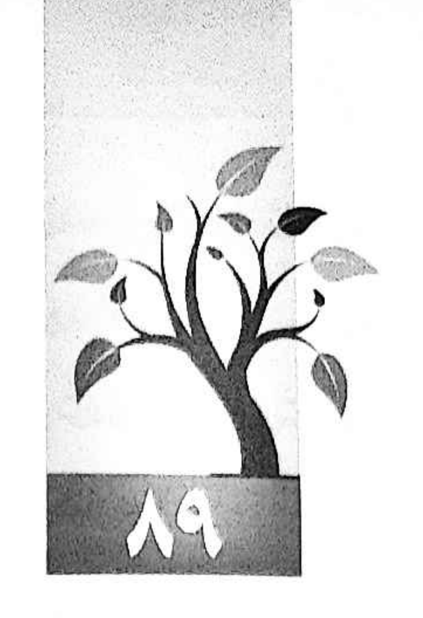
إنَّ أخــلاق الكبــار لا تأتــي بالتشــبُّه الفارغ، ولا بالأمانــي الكاذبة، إنَّما تأتــي بالجهد والتَّعب والمعانــاة، وذاك الــذي يجهــد إنَّمــا يحاول في الشَّــكل والصورة فحســب.. وهذه المظاهر غالباً ما تدلُّ على جهل صاحبها، وقلة بضاعته، وســفول همتــه؛ إذ جهــد أن يصل إلى آخــر الطَّريق من خلال المظاهر والصور العاجلة، وظنَّ أنَّها تسمن أو تغني من جوع!.

إنَّ مثل هــذه النفوس بحاجة إلى تشــذيب لعلائق الكِبْر الَّتي تبدو في قلوبها، وروائح الرياء الَّتي تنتشر من أفعالها، وعليها أنَّ تدرك أن الحياة أسهل ما عليها أن ترفضهم وتخلفهم في عالم المفقودين.

والمعالي بحاجــة إلى نفوس كبيرة تتقــن أولاً فنَّ البذل والعطاء، والجهد والتضحية، والسَّهر والمعاناة، ثم حين تأتي لحظاتُ الشُّــهرة تجدها أزهد ما تكون فيها، وأرفع عن أعلامها، وهذا من أعظم بركة العلم على أهله..

يجب أن تدرك هذه النُّفوس أنَّها تصغرُ كلَّ يوم في أعين النَّاس، وتذبلُ أسماؤهم كلَّ لحظة من صفحات التاريــخ حين تنــزع أنفســهم إلى الخــروج في وقت مبكِّر، أو تتطلَّع إلى المقدمة قبل أوان النضوج.





٨٩ نظّمْ نفسَك

النِّظام أدب في النَّفس قبل أن يكون شكلاً وصورة..

ما أحوجنا إلـــى تنظيم نفوســـنا، والعناية بها، وتهذيب واقعها، وترتيب شتاتها.

لقد بات يُعنى بدرجة كبيرة جــدّاً بتهذيب المكان، وترتيبه، والعناية به غاية الاهتمام، وتُصرف من أجل ذلــك دورات تدريبية وتدفــع عليهــا آلاف الرِّيالات، ونســينا أنَّنا أحــوج ما نكــون أولاً إلـــى دورات تُعنى بتهذيــب النفوس، وتربيتهــا على الفضيلــة، وإقناعها بأولوياتها.

إنَّ من الأهمية بمكان أن ننظِّم الأمكنة الَّتي نعيش فيها، ونجهد في إخراجها بالشَّــكل الَّذي يمكننا من

الإنجاز الكبير لأهدافنا، وعناية الإنسان بالتنظيم والترتيب دليل تفوُّق وجدية، لكن أولى من ذلك وأهم أن نُعنى بتنظيم نفوسنا وترتيبها حتَّى تعرفَ طريقها، وتستقرَّ في رحلة حياتها الكبرى..

ومن سوء إدارتنا لحياتنا أنَّنا دائماً ما نُعنى بالظاهر، ونسرُّ به، ونفرح به غاية الفرح، ويفوتنا في ذات الوقت أنَّ النفوس إذا لم تجد استقراراً واضحاً، وعناية كبيرة، وإلا ستتلاشى كلُّ الجهود المبذولة في العناية بالظَّاهر، ولن يكون له كبير أثر بعد ذلك في حياتنا.

ماذا ينفع الإنسانَ سيارةٌ نظيفةٌ، وبيتٌ مرتَّبٌ، ومكتبٌ يفوح عطراً في كلِّ صباح؛ أمام روح تائهة لم تعرف طريقها للحقِّ بعد؟!.

ماذا ينفع الإنسانَ عنايته بتلك الصُّور الظَّاهرية وهو لم ينتظم بعد في صلاة، ويأتي كلَّ وقت إلى المسجد وهو متأخِّر، ولا ينتظر منه عمل مرتَّب، ولا تفرح له بمبادرة في خير؟!.

إنَّ أعظم المهام والتَّحديات الَّتي يحتاج فيها

الإنسان إلى عناية بالتَّرتيب والتنظيم؛ علاقته بالله تعالى، واهتمامه بعالم الروح، وستأتي بقية الأشياء بعد ذلك تباعاً.

وكل بيت له بـــاب، وباب هذه القضيـــة روح تعرف فــنَّ التنظيم مــع الله تعالى، وتجهد فـــي إعادة وهج الروح من خلال فضيلة التَّرتيب.





٩٠ إدارةُ الأولويّات

«إدارةُ الأولويَّـــات» من أهـــم القضايا في حياتنا كلِّها، وأولاهـــا بالعناية والاهتمـــام، وأيُّ عاقل أراد لنفســـه النَّجاح والتميُّز عليه أن يدرك أسرارها، وأن يُعنى بها غاية العناية والاهتمام.

إنَّ من أعظم مشكلاتنا التي نواجهها: ضعف قدرتنا علـــى إدارة أولوياتنا، فتجد الواحد منَّـــا يجهد ويتعب يومه كلَّه، ويقف في النِّهاية يتلفَّت عن المنجزات الَّتي تركها في نهاية يومه، لا يجد شيئاً يملأ يده، ويتحسَّر على فـــوات وقته، ويتألَّـــم على ذهاب لحظـــات يومه، وهكذا تبدأ دورة اليوم من جديد وينتهي دون فائدة!..

ولعلَّ من أعظم أســـباب هذا الإخفاق في حياتنا: أنَّنا لا نعرف ما هي أولوياتنا التي يجب أن ننجزها،

وقد نعرف أولوياتنا لكنَّنا لا نضع لها الوقتَ الكافي لإنجازها، وكلا المحصِّلتين في النِّهاية سواء.

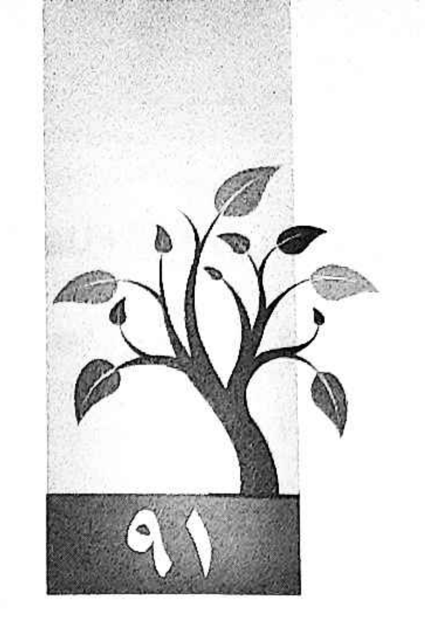
إنَّ أول ما ينبغي علينا: أن نكتب أهدافنا الَّتي نريد تحقيقها في حياتنا في مستوياتها المختلفة؛ سواء الذاتية، أو الأسرية، أو الاجتماعية، أو العملية، فإذا ما عرفنا هذه الأهداف بوضوح رتَّبناها بعد ذلك على حسب أولوياتها وأهميتها في حياتنا، وحين نضعها أولوية يعني أنَّنا نشتغل بها في أول اليوم، ونجعلها أهم قضية في يومنا ذلك، ولا يشغلنا عنها شيء مهما كانت ضرورته، وبهذا التفكير تنجز هذه الأولويات في باكورة اليوم، ويتفرَّغ الإنسان بعد ذلك لإنجاز ما بقي من مهام.

إنَّك ترى الإنسان في أحيان كثيرة لا يدرك حجم التفريط في هذه الأولويات، فتجد المؤذِّن كمثال يؤذِّن للصَّلاة وهو مشغول بهدف ثانوي، مع أنَّ هذا هو واجب الوقت، وهو من أعظم الأولويات تلك اللَّحظة، ومع ذلك يفرِّط ويتوانى ويتكاسل حتَّى تضعفَ روحُه، وتتشتت نفسُه، ولا يجد أثراً لعمله، ولو أدرك عظمة

الأولويات في حياته لترك كلَّ ما يعمل فيه لحظة الأذان، وأقبل على ربِّه، ثم تفرَّغ بعد الصَّلاة لما يمكنه القيام به.

إنَّ أول ما ينبغي أن نُعنى به في هذا الشَّأن أن نعرف أدوارنا في هذه الحياة، ثمَّ ننصب لكلِّ دور الأهداف التي تأخذ به للنَّجاح، ثم نرتِّبها على حسب أولوياتها، ثم حين ينشقُّ نور الفجر نبدأ في كلِّ أولوية في وقتها المناسب، ونضع لها وقتاً واجباً، ونقف متأبِّين أمام كلِّ العوارض التي تقف تلك اللحظة أمام إنجاز هذه الأولويات.





٩١ الإيجابيةُ

كنْ إيجابيّاً في حياتك كلِّهـــا، لا تبخل أن تمنح نفسك هذا المعنى الكبير في الحياة!.

إنَّ ابتســامتك لكلِّ من تلقاه في الطَّريق هي أول طريق يمنحك هــذا المعنى، ويكتب لك المشــاركة بفاعلية في ذات الطَّريــق، وحين تقدر على أن تقدِّم شــيئاً ما لــكلِّ من يحتاجـك تقدر فــي ذات الوقت على صناعــة الحياة بالقدر الذي تملكــه، ولئن قال نبيُّنا ﷺ في المعنى الأول: «**وتبسُّمك في وجه أخيك صدقة**»؛ فقد قال في المعنى الثاني: «**وتعين الرَّجل في دابته فتحمله عليهــا، أو ترفع له عليها متاعه؛ صدقة**».

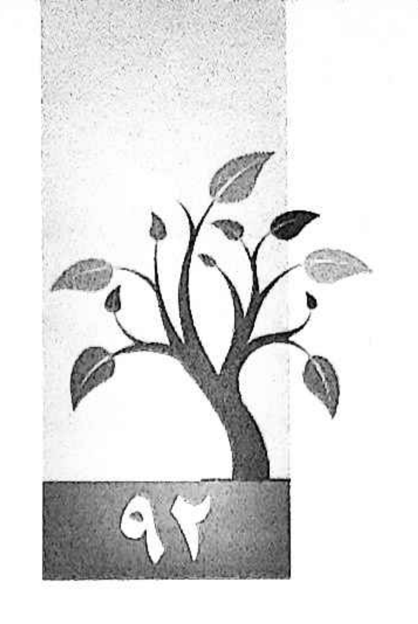
الإيجابية معنى يحملك على العطاء، ويثير فيك الرَّغبةَ لخدمة الآخريـــن، ويعينك على تجاوز ذاتك إلى الانشغال بإسعاد كلِّ إنسان..

لقد كان من بركات هذا المعنى غفران ذنب زانية لسقيها كلباً يلهث من شدة العطش، ودخول آخر الجنَّة من أجل قطع غصن شـــوك في الطَّريق، وغفران ذنب إنســـان لمجرَّد أنه تجاوز عن ماله رغبة في التيسير على المعســـرين، وهكذا تظلُّ عوائده بأكبر ممَّا يصف القلم، وأعظم ممَّا يتحدث به إنسان.. وما قيمة إنسان في الحيـــاة وهو يتجرَّد مـــن هذا المعنـــى الكبير في عيون الآخرين؟!.

إنَّنا نملك الكلمة الطَّيبة في كلِّ لحظة، ونســـتطيع أن نترك آثارها الرائعة فـــي كلِّ مكان، كما نملك في ذات الوقت أن نهب مشـــاعر الحبِّ والودِّ لكلِّ إنسان نلقاه في طريـــق الحياة الطويل، ونملـــك في المقابل أن نحتمل كلَّ كلمة مهما بلغت ســـوءاً، ونملك أن نعذر صاحبها وندع له مســـاحة يفيض فيها مشـــاعره مهما كانت محمَّلـــة بالأخطاء، وفي اســـتطاعة كلِّ واحد منَّا

أن يعذر هؤلاء، ويتجاوز عن أخطائهم، ويمنحهم قلباً يهبهم الحبَّ، ومشاعر تعوِّضهم النقص، ووقتاً يعينهم على الاعتــذار.. وبمثل هذه المعاني تحيا في نفوســنا جميعاً الإيجابيــة التي يحمل فيها الإنســانُ بعضاً من معاني الحياة الجميلة.





٩٢ استفزَّ قوَّتَك

استفزَّ قوَّتَك، وأعدْ محاولة النَّجاح مع حياتك من جديد، ومهما بلغت تجربتُك الكبرى في الحياة هذه اللَّحظة تأكَّد أنَّ لديك الكثير من القوى لم تخرج بعد، وهي أحوج ما تحتاج إلى استفزاز!.

إنَّ كلَّ نجاح نشــاهده في حياة إنسان هو على قدر استفزازه لطاقاته وقدراته، وقد أشار القرآن إلى هذا المعنــى في كثير مــن آياتــه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، و﴿سَابِقُوٓاْ﴾ [الحديــد: ٢١]، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ [العنكبــوت: ٦٩] ونحوها ممَّا فيه اســتفزاز هذه القدرات والطاقات.

وفي حديث نبينــا ﷺ إغراء عريــض بهذا المعنى في قوله ﷺ: «**إذا سألتم الله تعالى الجنة، فاسألوه**

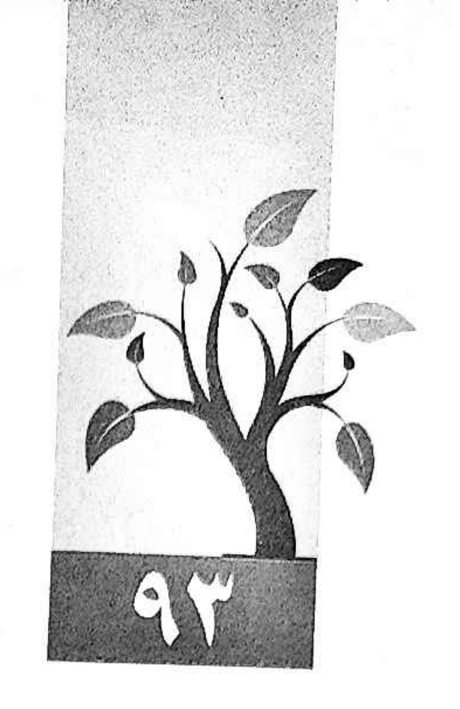
الفردوس، فإنَّه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، ومنه تفجّر أنهار الجنة».

ولم يأتِ في حديثٍ استنهاضُ همم الإنسان لمرتبة أدنى من الفردوس، وكلُّ ذلك إغراء بهذا المعنى، ودفع للنفوس إلى استفراغ وسعها في تحقيق هذا المعنى الكبير، وتظلُّ التجارب الَّتي يخوضها الإنسان في حياته كلَّ يوم تكتب هذا المعنى بأوضح ما يكون!.

كم من مخفق في الحياة تحوَّل إلى ناجح، وكم من صحيح عجز في أيام صحته أن يرفع شأنه ويُعلي تاريخه، حتى إذا ما حلَّت به فواجع الحياة ومصائبها وعاد معاقاً؛ صنع من تلك الإعاقة أعظم المعاني الكبرى في تاريخه!.

كلُّ ذلك يدلُّنا دلالة واضحة أنَّ قدراتنا قابلة للاستفزاز مهما كان التَّاريخ الذي صنعناه كبيراً في الأرض، وكلُّ إنسان يملك أن يجرِّب كيف يستفزُّ قدراته وطاقاته، ويمنحها شعوراً كبيراً بالقدرة على الإنجاز، ولينتظر بعد ذلك كيف تكون المفاجآت في حياته!.





٩٣ صِنَاعة القلقِ

من يصنعُ القلقَ في نفوسنا؟.

من أغـــرب الإجابات التي يمكـــن أن تأتي على هذا الســـؤال: أننا نحن الذين نصنع ذلك القلق لنفوسنا!..

إنَّ الحقيقة المرَّة تقول: إنَّ غالب مشـكلاتنا التي نعانيها هـــي من صنعنا، نحن الذين رســـمناها بدقة، وعُنينا بتشـكيلها بالقدر الكبير في نفوسنا دون وعي أو إدراك! وإنَّه لغريب أن يصنع الإنسان لنفسه عوائق تقف في طريق سـعادته، وتراه في ذات الوقت يبحث ويجهد عن الأسباب..

ذكر ابن الجـــوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: أنَّ رجـلاً مـــن صحابة

رسول الله ﷺ خرج في سرية جهاد إلى أرض الروم، وكان من قرَّاء القرآن، ومن صوَّام النَّهار، وقوّام الليل، فمرُّوا بحصن من حصون الروم، فشغل بامرأة من النَّصارى، وأعجبه حسنُها، فعشقها، وسألها: كيف الوصال إليك؟ فقالت له: أن تتنصَّر.. فتنصَّر وترك دين الله تعالى!.. قال راوي القصَّة: فعدنا في سرية أخرى فرأيناه مع النَّصارى من فوق الحصن، فسألناه: ما فعل علمك؟ ما فعل جهادك؟ ما فعلت صلاتُك وصيامُك؟ فقال: نسيت كلَّ شيء من القرآن إلا هذه الآية: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢].

وإنْ كان هذا المعنى الذي صنعه الرجل لنفسه كبيراً أوصله إلى الكفر، إلا أنَّ ثمة قضايا أقل من تلك الدرجة نحن الذين نكتب بها ضياعنا وشتاتنا.

في أحيان كثيرة تكون النَّظرةُ الخائنةُ أعظمَ الأسباب للقلق الذي نعيشه في نفوسنا كما هي في قصة هذا الصَّحابي.

وأحياناً قد تكون الكلمة العابثة أخطر الأسباب كما قال ﷺ: «**وإنَّ العبد ليتكلَّم بالكلمة من سخط الله**

لا يلقي لها بالاً، تهوي به أبعد ممَّا بين المشرق والمغرب».

وقد قال أحد السلف: عيَّرتُ رجلاً بالدَّيْنِ، فركبني الدَّيْنُ بعدُ أربعين سنة!.

وأحياناً قد يكون شتاتنا وضياعنا لريال ربا، أو معاملة محرمة لبست في الظاهر ثوب الفرصة، وكتبت على صاحبها بعد ذلك كلَّ أنواع الشتات، وقد يكون خلف ذلك الضياع حرمان إنسان من حقِّه، أو الوقوف أمام حياته ومستقبله، وقد تكون في أشكال أخرى غير تلك التي تبدو لنا، غير أنَّ أعظم الحقائق ألماً أن يكون المسؤول خلف كلِّ هذه المشكلات والآثار هي نفوسنا؛ صنعت ظلامها بنفسها، وهي ذاتها تنفق حياتها من أجل إزاحة ذلك الظَّلام.





٩٤ الفكرة

«الفكرة» من أعظم الأسلحة أثراً في حياة النَّاس، قد لا يتصوَّر الإنسان حجم هذا المعنى الذي تحمله الفكرة! لكنَّ الحقيقة الكبرى أنَّ من أخطر الأشياء التي تواجه الإنسان في حياته هذه الأفكار.

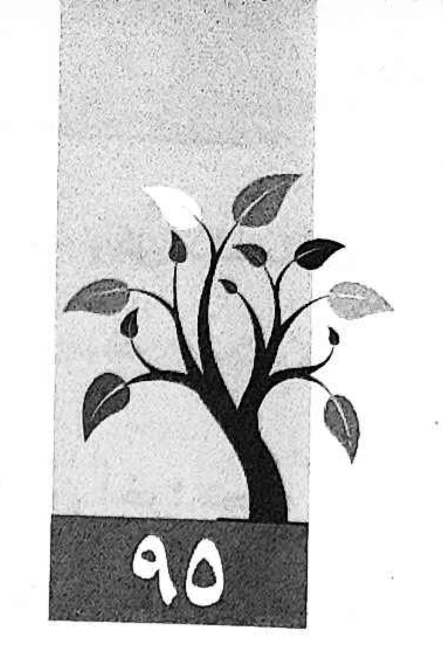
وليس عندي من دليل على هذه الخطورة سوى أنَّ كلَّ من يعيش في الأرض إيجاباً أو سلباً إنَّما يعيش بهذه الأفكار، وقد تجد إنساناً يعيش رحلة رائعة في حياته، وآخر يعيش في أسوأ حال، وثالثاً يجهد مريضاً من الوهم، ورابعاً يمضي لا غاية له في الحياة، وتكتشف في النِّهاية أنَّ كلَّ هؤلاء نتائج طبيعية لهذه الأفكار التي تسلَّلتْ إليهم في فترة من حياتهم، وكتبتْ لهم روائع النَّجاح أو خسائر الفشل والقلق والاضطراب.

إذا كانت الفكرة بهذه الخطورة فيجب على كلِّ واحد منَّا أن يقرأ الأفكار الَّتي تَرِدُ إليه بوضوح، وأن يمعن في صدقها وواقعيتها وآثارها قبل أن يتبنَّى شيئاً منها وتصبح جزءاً من تفكيره وحياته.

إنَّني لا أدعو إلى التصلُّب أمام الأفكار، ولكن أدعو إلى قراءتها بتأنٍّ، ومناقشتها بوضوح، وعرضها على الواقع، وفحصها؛ حتَّى إذا ما حملنا فكرة تسيِّر حياتنا فيما بعد؛ حملنا فكرة صادقة، واقعية واضحة..

وفي المقابل أدعو كلَّ إنسان وهو يقرأ هذه الخاطرة أن لا يحتقر الفكرة الإيجابية، وأن يحملها بوضوح، وأن يسعى في كلِّ لحظة يلقى فيها النَّاس أن يسقي بها أفكارهم، ويغذِّي بها نفوسهم، حتَّى إذا ما استشربت أرواحُهم هذه الأفكار؛ لقي الإنسان من آثار الخير ما يمتدُّ به عمره، ويتوسَّع به تأثيره، وأن ينتبه حُمَّال الأفكار إلى مسؤوليتهم تجاه أفكارهم، فقد يلقون فكرة سلبية لا ينتبهون لآثارها في الواقع تجري عليهم بأخطارها ما بقيت الحياة.





٩٥ الأشياء الصَّغيرة

لا توقف حياتك على الأشياء الصغيرة.

جزء من مشكلاتنا التي نعيشها في واقع الحياة أننا نضخِّم عوائق عارضة، ونعطي المشـــكلات الَّتي تواجهنا في الحياة أكبر من حجمهـــا، ونوقِف جلَّ اختياراتنا على بعض المواقف الصغيرة!.

إنَّ بعضنا تتوقف سيارته لعطل ما، فتجده يتسخَّط على واقعه، ويصنع من تلك المشـــكلة العارضة مشكلة مزمنة، ويحوِّل تلـــك اللحظة الَّتي يعيشـــها إلى أزمة تأخذ كلَّ تفكيـــره، وبدل أن يوقف ســـيارته في جنب الطَّريق، ويركب لقضاء حاجته ثم يعود إليها في وقت أوسع؛ يعطِّل كلَّ شيء، فيذهب وقته، وتختل مواعيده،

وتتأخَّر أعماله، وتسوء نفسيته، وكلُّ ذلك لعطل عارض وشيء طبيعي.

وقُلْ مثل ذلك فيمن يتعرَّض لخطأ من آخر؛ تجده يفتح قضية كبرى لهذا الخطأ، ويوسِّع دائرة تأثيره، ويدخل فيه أطرافاً آخرين، ويبنيه على قضايا مرَّت أحداثُها من زمن، وتتوقَّف كثير من القضايا على مثل هذه الأخطاء العارضة، وكان يمكن أن يكون هذا الخطأ فرصةً لتجريب لحظات التَّسامح، واغتنام الفرص، والوصول إلى مراضي الله تعالى من خلال هذه العوارض.

وكم من زوج وقع على خطأ عارض من زوجته في لحظةٍ ما، فيبني عليه مستقبلَ هذه الحياة، وقد يكون هذا الموقفُ العارضُ أعظمَ الأسباب في وقوع الطَّلاق والفراق بين الزوجين بعد زمن عريض من الصَّفاء والنَّقاء، أو قد لا يصل إلى هذه القضية بالذات لكن يظلُّ هذا التصرُّف يخلق شكوكاً عريضة فيما يستقبل من أيام، ويخلقُ مع صغره حياةً تقوم على الشُّكوك وسوء النَّوايا، ورصد الحركات؛ حتَّى تتحوَّل الحياة الكريمة إلى حياة صعبة لا يطيقها إنسان.

وهكـذا كلَّما منحنا هذه الأشـياء الصغيـرة زيادة في الاهتمام خسرنا أشـياء كبيرة وجوانب مضيئة من حياتنا..

والحلُّ أن ندع هذه الأشـياء على حجمها الطَّبيعيِّ، وأن تأخـذ منَّا قدرهـا المناسـب، وألا تطغـى حتَّى تستوعب حياتنا، وتؤثِّر في واقعنا تأثيراً كبيراً.





الكمالُ

السَّــعي إلى الكمال أحد المطالب الكبرى الَّتي يســعى إليها كلُّ إنســـان، وهو مع عظمته وجلالة مطلبه إلا أنَّه أحد الأســباب الكبرى في خلق بيئة الاضطراب والشقاء النَّفسي على صاحبه.

إنَّ وجود أهداف كبرى للإنســان فــي حياته مطلب مهمٌّ لتحقيق الحياة الكريمة التي يســعى إليها، وهي إحدى الدَّعائم الكبرى لمستقبل الآخرة، لكن أن يظلَّ الإنسان مشغولاً فيها بالكمال، ويطاردها كلَّ لحظة من حياته، وتكون على حســاب راحته وطمأنينته وســلامه مع نفسه؛ فإنَّها بذلك تكون أحد الأسباب الكبرى في مرضه وتخلُّفه في قادم الأيام.

إنَّ طلب الكمال حين يتحــوَّل إلى همٍّ وقلق؛ يتحوَّل

فيما بعد إلى مرض، ويتحوَّل من كونه أحد الروافد الكبرى لخلق الدافعية في نفوسنا، إلى أحد أكبر الأمراض التي تمثِّل اضطهاداً وقلقاً وشتاتاً لنفوسنا.

ما أحوجنا إلى أن نعيش على أمل عناق الكمال، ونسير بطمأنينة وراحة واستقرار من خلال الأهداف التي نكتبها لهذه النِّهاية، ومن خلال الخطط التي نسير عليها في تحقيق تلك الأهداف.

إنَّ هذه المشكلة التي يعيشها جملة من النَّاس ربَّما أثارتْها الرغبة في النَّجاح بأقصى درجة، ودعمتها التَّوجُّهات السَّابقة في إدارة الوقت التي تقضي باستثمار كلِّ دقيقة، ووضع جدول يجعل الإنسانَ شبيهاً إلى حدٍّ كبير بالآلة الَّتي ربَّما تسير حتَّى تقف فجأة؛ لكثرة حركتها، وعدم النظر فيما يصلحها..

ونحن أحوج ما نكون أن نضع لهذا الحلم الكبير خطة مرنة تؤتي غرضها، وتحمل همَّ النِّهاية التي تسعى إليها، وهي في الوقت ذاته قابلة لاستقطاع أوقات بينية، وقابلة للمرونة، وتفسح المجال أن يتحرَّك الإنسانُ في دائرتها بمرونة كبيرة جدّاً.

إنَّ أحد أكبر الأسباب المؤدِّية للإخفاق: كلال الذهن، فإذا ما كَدَّ الجسد والذهن فوق طاقته؛ توقَّفت حركته، وتأخَّر في إبداع الأفكار الكبرى المعينة على الوصول إلى الأهداف بدقة، وأخفق الإنسانُ من حيث لا يشعر.

ولعل حديث النبيِّ ﷺ: «**المنبتُّ لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى**» أحد القواعد الَّتي تؤسس لهذه الفكرة، وتدعو إلى عناق النِّهايات بأبسط الطُّرق وأمتع اللحظات..

وإنَّني أدعو في نهاية هذه الفكرة إلى أن يعيد الإنسانُ التأمُّل في إدارة وقته، وأن يعيد ترتيبَ حياته على أن يأخذ في اعتباره أنَّه يجب أن يستمتع في كلِّ دقيقة من دقائق المشروع الذي يحلم بعناقه، وأن يدير وقته وهو يسير لغايات الكمال، ويشعر بروح الطَّريق وسعته وجمال لحظاته، فإن وجد غير ذلك فهو مدعوٌّ أن يعيد النَّظر ثانية وثالثة؛ فلن يخسر الإنسان أغلى من نفسه.





دعوةٌ للاستقرارِ

«التوازن في الحياة» بات اليوم من أكبر الأشـــياء طلباً، ومن أكثرها تأثيراً..

غرق كثير من النَّـــاس أو كادوا! ويكاد هذا الغرق يعمُّ كلَّ إنســـان: الناجـــح منهم الســـاعي لتحقيق أهدافه، أو القاعد الذي لا همَّ له في رحلة البناء، وبدأت الشكوى من ازدحام الأعمال، وكثرة الطلبات، وعدم القـــدرة على إنهاء جـــداول الأعمال في زيادة تدعو للتوقُّف والإمعان.

إنَّ كلَّ إنسان يبدو مرهقاً، وزيادة على هذا الإرهاق يشعر بعدم التوازن، وتمضي الأيام من حياته ويخسر أشياء كثيرة كلَّ يوم.

إنَّ كثيــراً مــن الناجحين اليــوم قــد تصفِّق لهم الجماهيــر العريضة فــي وقت ما، وتجدهــم يتألَّمون حين يخلــون بأنفســهم؛ لأنَّهم فــي الغالــب يدركون واقعهم، ويعلمــون أنَّ هذا النَّجاح الــذي يجدون أثره في حياة النَّاس لم يكتمل بعد في نفوسهم، وما زالوا يشــعرون أنَّه على حســاب واجبات كثيــرة ضاعت أو كادت!..

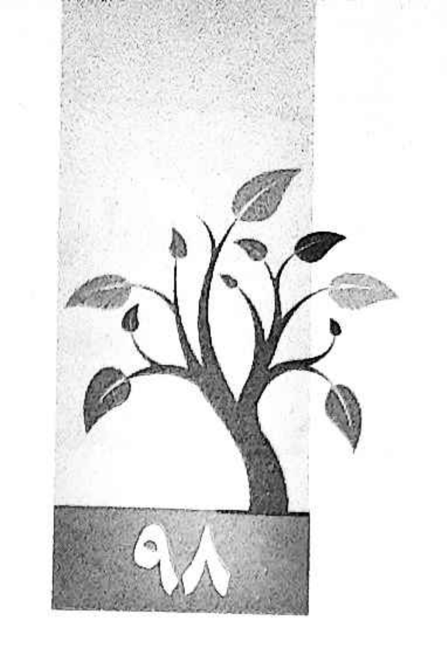
رأيتُ كبــاراً وصلوا إلــى أحلامهم فــي جانب ما، ورأيتُهم في ذات الوقت يجهــدون في ترتيب علاقتهم مع الله تعالى ولم يصلوا بعد! في صور كثيرة تختلف باختلاف الأشخاص.

وما أن تفتح هذه الفكرة لإنســان اليــوم مهما بلغ نجاحه إلا وتجد شــكوى عارضة، ونقاشــاً يدلُّك على وجود أرضية للمشكلة..

إنَّنا لن نصل للاســتقرار الروحيِّ والنفسيِّ الذي نســعى لتحقيقه في حياتنا إلَّا من خلال وجود توازن بين أهدافنا الكبرى، وإذا أدركنا خطر هذه القضية وأثرها على نجاحنا الحقيقيِّ؛ فيجب أن نقطع لها من

سنام أهدافنا وأوقاتنا! وأن تكون هي أولى الأولويات في كل لحظة هدف يقف بين أيدينا يدعونا لإنجازه، وأن لا نكتب حرفاً واحداً في خطة بناء إلا وهو حاضر بكلِّ معانيه.

وعلينا أن ندرك أن قيمة الحياة كلِّها في خلق بيئة الاستقرار النفسيِّ، والطمأنينة الروحية في حياتنا كلِّها، ويجب ألا تختصم الأدوار المنوطة بكلِّ واحد منا، وألا تتنازع الأهداف في دائرة تلك الأدوار، بل يجب أن يأخذ كلُّ دور حقَّه الذي كفله له الشَّرع، وأن يأخذ الهدف المساحة الدقيقة من ذلك الدور، ويجب أن يخلد كلُّ واحد منا إلى فراشه عند النوم وهو يشعر بسلام ودفء روحي وطمأنينة كبيرة تعيش قلبه، وتتدفَّق على مشاعره، وبدون ذلك لن يحدث النَّجاح الذي نبحث عنه.



٩٨ امنحهم فرصةً

اســمح للآخريــن أن يتحدَّثوا عــن إنجازاتهم، ويجدوا فرصة للحديث عن أنفســهم، ويتنفَّســوا الهواء الطَّلق في كلِّ لقاء.

إنَّ مشــكلتنا تبدو في أننا نملأ الأمكنة التي نلتقي فيها بالحديث عن أنفســنا، ويبقــى الآخرون ينظرون لنتائــج الغيــر، ويخرجون مــن هــذه المجالس وهم يشعرون بالنقص والدون.

إنَّ النَّــاس تتــوق لذلك الــذي يمنحهــم فرصة التعبير عن أحداثهــم وحياتهم ومشــاعرهم، ويهبهم الوقت الكافي لــكلِّ ذلك، وهذا هــو دأب نبينا ﷺ: يلقى صحابته، فيهبهم الوقت الكافي لبثِّ مشاعرهم، ويغريهم بالحبِّ للدرجة التي ظنَّ عمرو بن العاص رضي الله عنه

من شدة ما يُعنى به أنَّه الوحيد في حبِّه، فقال سائلاً منتظراً تلك البشـارة: من أحبُّ النَّاس إليك يا رسول اللّٰه؟!.

ما أحوجنا إلى منح الآخريـن الفرصة الكافية في كلِّ لقاء بأن يُسمِعونا شيئاً من مشاعرهم، وتجاربهم، وأحداثهـم، وأن نتجنَّـب قـدر الإمـكان الحديث عن أنفسنا وإنجازاتنا.

إنَّنا حين نحسن تلك التجربة، ونتمكَّن من تجريب الصَّمت فـي لقاءات الآخريـن، وندرِّب أنفسـنا على سـماع ما لديهـم؛ نمنحهم جـوّاً شـعوريّاً عالياً من الحبِّ، ويظلُّون في النِّهاية يبحثون عنك في كلِّ لقاء، ويجهدون من أجـل اللقاء بك في كلِّ مناسـبة؛ ذلك لأنَّك منحتَهم ما يحتاجون إليه.





٩٩ خطّطْ للاسترخاءِ

الاســـترخاء ذلك المفقــود في حيـــاة كثير من النَّاجحين.. رأيتُ كثيراً من النَّاس يلهث وراء هدفه، ويجهد في تحصيل مطلوبه، وينسى في الوقت ذاته أنَّه يهدر طاقته، ويســـتنفد قواه، ويخسر مع مضي الزمن بعضَ طاقاته وقدراته.

إنَّ الإصرار على تحقيق الهدف وعناق الرؤية الَّتي كتبها الإنسان لنفسه شيء في غاية الأهمية، لكنْ في ذات الوقت الاستمتاع بالعمل، واســتعادة وهج الروح، وتحريك طاقات الجسد؛ تأخذ ذات الأهمية، وتكتسب نفس الروح التي ينبغي أن نعيش بها.

علينـــا أن نـــدرك أن الجســـد والعقل يـــكلان من العمل، ويجهــدان من النصَـــب، وقـــد ينقطعان عن

المواصلة في أوقات الذروة، ونخسر بذلك كثيراً من أوقاتنا لكلال أبداننا وعقولنا.

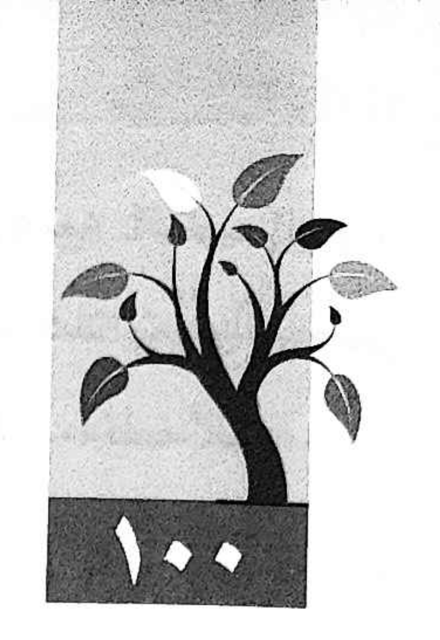
من الأهمية بمكان أن نستقطع أوقاتاً في كلِّ يوم ليس لشيء سوى للاسترخاء، وتجديد النَّشاط، وإعادة وهج العقل والروح، واكتساب الطَّاقات لتحريك أهدافنا نحو نهاياتها، وعلينا أن نعوِّد نفوسنا أن هذا ليس تبديداً للوقت، وتفريطاً في أعظم الوسائل أثراً في تحقيق أهدافنا، وإنما زيادة في تحريكها، ودفعها نحو النهايات التي نؤمِّلها..

لنأخذ وقتاً للراحة كلَّ يوم؛ فقط يكون همُّنا فيه استرواح النفوس، وإثارة قدرتها على التَّحرُّك بقدر أوسع، وزيادة تأثير عقل الإنسان بعد فسحة الفراغ التي عاشها في لحظة الاسترخاء.

إنَّني لا أريد هنا الاسترخاء الذي يأخذ أشكالاً طويلة، أو تمارين مقصودة، وإنَّما أعني فقط ألا يذهب اليوم كلُّه في كدِّ الذهن في التفكير، والجسد في العمل، وأن تكون هناك فترات راحة مقصودة في عمق وقت العمل؛ يتنفَّس بها الإنسان من قيد

النظام وتشويش الأهداف، يخرج فيها إلى صديق، أو يتحدَّث فيها إلى إنســان، أو يخرج يمشي في مساحة من الفضــاء، وكلُّ ذلك مــن أجل إعــادة الروح إلى الاستمتاع بالعمل.





١٠٠ الخطأ

«كلُّ ابـــن آدم خطَّاء» جـــزء من حديـــث نبيِّنا محمد ﷺ، وهو يمثل إحـــدى الحقائق الكبرى في حياتنا، ونؤمن به نظريّاً لدرجة التشبُّع، ولم نفقه بعد حقيقته العملية الواقعية.

إنَّ هـــذا الحديث يعلِّمنـــا أن الخطأ بعـــض طبيعة الإنســـان مهما بلغ شأنه، وســـيظلُّ كلُّ إنســـان يكتوي بهذه الحقيقة مـــا دام حيّاً، وهـــذه الحقيقة يجب أن نتعلَّم من خلالها أنَّنا موعودون بأخطاء كثيرة في قادم حياتنا، فلا يجوز بحال أن نتوقَّف عند تلك الأخطاء، وتحاصرنا في زوايا ضيقة، وتجعلنا محلَّ التهمة أمام نفوسنا عند كلِّ لحظة نجاح، ما دام أنَّ الأخطاء بعض طبيعتنا، وشـــيء جُبلنا عليـــه؛ فيجـــب أن نتلاءم معه

بالقدر المناسب، وأن نضعه في وضعه الطبيعيِّ، وألا تستوقف حياتنا بعض الأخطاء مهما علا شأنُها لنخسر بعد ذلك أوقاتاً عريضة في حياتنا.

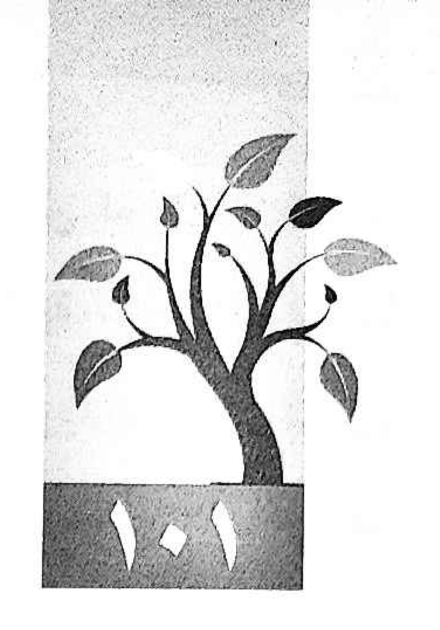
علينا أن نتحمَّل كلَّ خطأ يعرض لنا، وأن نعتبره جزءاً من تلك الحقيقة، وبعضاً من تلك السُّنَّة، وأن ندرِّب نفوسنا على استقبال هذه المواقف بكلِّ سهولة، وألا نوسِّع في حكمها وأثرها وتاريخها في حياتنا، فتتوسع دائرة المشكلات الفكرية والنفسية في حياتنا.

ومن جانب آخر يجب أن تستصحبنا هذه الحقيقة في كلِّ موقف يعرض لنا من الآخرين، وأن نستقبل أخطاءهم التي وقعوا فيها ونحن نعذرهم لتلك الطبيعة التي خُلقوا عليها، وألا نوسِّع الخطأ، ونضخِّم حجمه، ونزيد في مساحته فيبدو من أمامنا مَلَكاً وليس بشراً من الخلق.

إنَّ مشكلتنا مع الخطأ أنَّه غالباً ما يأسر نفوسنا في واقع سيئ، ويشتِّت أفكارنا، وتبقى جملة من الأخطاء تحاصرنا عند كلِّ لحظة نجاح تذكِّرنا بالماضي الذي

كتب الله تعالــى علينا فيه أن نعيــش لحظة الخطأ.. والحلُّ أن ندرك هذه الطبيعة الواقعية، وأن نؤمن أننا عرضة للأخطاء، فلا تســتوقفنا ذكرياتها عن العمل، وأن تدفعنا لمزيد من التَّاريخ الذي يمسح كلَّ صورها الماضية بما فيها.





١٠١ أسئلةٌ ملحّة

هل عثر الواحد منّا على مشروعه الشّخصيِّ؟.

هل نشعر بالاستمتاع في أعمالنا؟.

ما مستوى رضا نفوسنا عن الفترة الماضية من حياتنا؟.

كم يشـــغل من أوقاتنا الهدف والمشروع في كلِّ يوم؟.

ما تجربتنا مع إدارة الأولويات؟.

هل وجدنا اللّذة الّتي نبحث عنها أم ما زلنا نشعر بأننا مثقلون مجهدون مرهقون؟.

كم هي مساحة المشروع من هذا الإرهاق؟.

وما نتائجها في حياتنا؟.

أرجو ألا تكتفي بقــراءة هذه الأسـئلة لمرة واحدة في حياتــك أو مرتيــن! عُدْ إليهــا كلَّ مــرة وأعطِها المســاحة الكافية من وقتك! تدري لماذا؟ لأنَّك بمثل هذه الأسـئلة الكبيرة تكتب حياتك التي تريد، وتدوِّن تجربتك الكبيرة في عالم الأرض!.

ما أحوج الواحد منا هذه اللَّحظة إلى أن يعثر على مشــروع يســتمتع بلحظاته، ويبنيه بالقدر الذي يشيّد مستقبله ويرسم حياته، ويعلو في جنان الرَّحمن بقدر همومه التي عاش في الأرض من أجل عناقها.

إنَّ الكلمات تعجز عن وصــف تلك اللَّحظات الَّتي يعثر فيها الإنسان على مشروعه! وإنَّني هنا أؤكِّد على أن يبحث كلُّ إنســان عــن إجابة للسُّــؤال الكبير في حياته: هل عثر على مشروعه أم ما زال تائهاً لم يجد معالم الطَّريق بعد؟!.

إنَّ الإنســان حيــن يجد مشــروعه ســيجد لحظات الاســتمتاع التي يحلم بها، وســيتعرَّف عــن قرب على التَّاريخ كيــف يكتب؟ وما أكثر الأشــياء إثــارة فيه؟ وحين يغيب المشروع من حياة إنسان يظلُّ تائهاً يبحث

عن كثير من المعاني الغائبة للإنسان المستخلف في الأرض.

إنَّ كلَّ إنسان مسـؤول أن يمدَّ في وقته لقراءة هذه الأسـئلة، وأن يدوِّنها في مفكرته، وأن يجد لها مكاناً مناسـباً في بيته ليتمكَّن مـن عرضها بصـورة ملفتة للقراءة، ومن ثـم يقرؤها ليتعرَّف علـى حقائقها في حياته عن قرب.

إنَّ واقع اليـوم يأتي على كثير مـن قضايانا الكبرى بالإمهـال والنِّسـيان، ويصوِّر لـك أنَّ الفرصـة قادمة، والزمن كافٍ، وفي الحقيقة يظلُّ هذا الواقع يركض على هذه الحقائق، وينسـي هذه المعاني، ومـا يزال جاهداً حتى يزيحها من همومـك وتفكيرك، وعلينا أن نعي هذا الخطر، وأنَّ التغافل عن هذه الأسئلة في واقع اليوم هو أكبر الطُّرقِ إلى إنسـان بلا هدف ولا مشروع ولا غاية! وإذا كان الخطر القادم بمثل هذه الصُّورة الكبرى فيجب أن تظلَّ هذه الأسئلة في كلِّ مكان، وفي كلِّ لحظة؛ لعلَّ قارعاً منها في يوم هدى إلى حياة إنسان!.





١٠٢ كيف تستمتع؟!

الاســـتمتاع بالحياة معنى ينشـــده كلُّ إنسان في حياته، وتهفو إليـــه قلوبُ النَّاس فـــي كلِّ لحظة، ويبدو أنَّنا إلى هذه اللحظة ما زلنا متعطِّشين إلى معالمه وآثاره.

الاستمتاع معنى تصنعه نفوسُنا، ويرصف تفكيرُنا لبناتِه في حياتنا على وجه التمام.

الاستمتاع شـــيء تصنعه أفكارنا، ويكتبه تفكيرنا في أرض الواقع، وأعظم أدواتـــه وأكثرها تأثيراً في مسيرته: التوازن.

يأتي الاســـتمتاع أولاً من اختيار مشروع الإنسان الذي يعيش مـــن أجله: وكلَّمـــا كان الإنســـان محبّاً

لفكرة من الأفكار، أو مشروعاً من المشاريع، أو عملاً من الأعمال؛ ظلَّ يعيش هذه اللحظات وهو يستمتع بها غاية الاستمتاع.

إنَّني هنا أتحدَّث عن المشـروع لأنني معتقد لفكرة تقول: إن الفراغ أعظم مكدِّرات الواقع، وسيظلُّ الفارغ يتلفَّت في كلِّ لحظة لمن يجلب له لحظات الاستمتاع التي ينشـدها، ولئن وجد هذه اللحظات في مرة فلن يجدها في مرات أخرى.. أمَّا صاحب المشروع فسيظل قلبه عالقاً بمشـروعه، ولحظاته تتأجَّـج أفراحاً على مسـيرته في حياته، ولـن يتلفت في يـوم من الأيام باحثاً عن صُنَّاع للاستمتاع من الخارج.

ويأتي الاسـتمتاع ثانياً من التـوازن في حياة الإنسان: فكلَّما كان الإنسـان متوازناً في حياته كان أقرب إلى الاسـتمتاع، والعكس بالعكـس، ذلك لأنَّ الشـتات والإرهاق، والملـل يأتي غالبـاً من ضعف التوازن، واختلال الأولويات في حياة ذلك الإنسـان، والتوازن الذي ننشده هنا ويحقق لصاحبه الاستمتاع فـي حياته هـو أن يعطـي كل دور مـن أدواره وقته

المناسب وزمنه الحقيقي، بمعنى أن يرصد خطة لأدواره العبادية، والعلمية، والعملية، والشخصية، والعلاقات الاجتماعية، ويمنح هذه الأدوار الوقت المناسب لتنفيذها، على ألَّا تكون هذه الخطة محددة كما يفعل كثير من النَّاس بالدقائق واللحظات، فإنَّ ذلك غالباً ما يولّد الشعث، ويجلب الملل والفرقة والشتات.

إنني أعجب لمن يبحث جاهداً عن الاستمتاع، وهو في ذات الوقت يسعى بنفسه لتبديد معالمه وذهاب آثاره من حياته، رأيتُ ذلك في حياة إنسان يأتي بدور على حساب دور آخر، ويبعثر هذه القضية من حياته دون أن يشعر!.

إنَّ مشكلة الأدوار إذا تداخلت أنَّها تسهم في التأثير على الاستمتاع؛ كمن يمارس في بعض الأدوار مخالفة للحق، فإنَّ هذه المخالفة قد تأتي بضعف الاستمتاع سواء في ذات الدور، أو في أدوار أخرى مماثلة.

أو كمن يمتدُّ دور العمل على دور الزوج والأولاد، فيتسبب في خلق شعور القلق في حياة صاحبه من

جهة، ويحدث شـرخاً في بناء ذلك الـدور تأتي منه غالباً كثيـراً من معوقات الاسـتمتاع فـي باقي حياته وأدواره.

ويأتي الاستمتاع ثالثاً بقرار نصدره هذه اللحظة قبل أن نفـرغ من قراءة هذه الدعـوة: أن نقرر أن نهدأ من هذا اللهـث الكبير، وأن نهدأ من هذا الفزع الذي يسيطر على حياتنا، وأن نأتي بأدوارنا ونحن في غاية الهدوء والطُّمأنينة، ومتى ما شـعرنا أننا نمارس مشـاريعنا وأهدافنا ونحن مطاردون، فعلينا أن نتوقف عنها بالكلية.

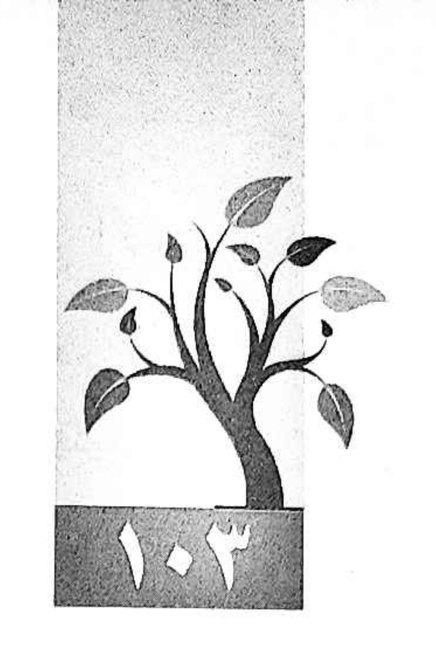
إنَّ هـذه الدعـوة كبيـرة بحجـم القلـق والفـزع والاضطراب الذي نشعر به في كلِّ لحظة من حياتنا، وإذا لم نـدرك هذا الخطـر الذي يلاحقنـا، والهمَّ الذي يداهمنا في حياتنا، وإلا قد تكون الخسارة هذه الأمراض التي بات يعانيها كثير مـن النَّاس في واقع اليوم.

إنَّنـي أدعو نفسـي وكلَّ قارئ لهذه الرِّسـالة هذه اللحظـة أن يترك العجلـة حين يدخل إلى المسـجد

لأداء الصلاة، وأن يصلِّي وهو يعلم أنَّ طمأنينته في حياته القادمة على قدر إقباله على هذه الصَّلاة، وحين يأتي إلى دائرة العمل يهدأ قليلاً، وقد يأتي على كلِّ ما يريد بأقلِّ تكلفةٍ.

وحين يأتي الإنسان إلى مشروعه يريح نفسَه من قلق طيِّ صفحات هذا المشروع، وليترك له فسحته الَّتي أراد الله تعالى أن ينتهي إليها، وحين ذلك سيجد الاستمتاع الذي يبحث عنه، والطمأنينة الغائبة في حياته، وستكون النتائج أكبر ممَّا يتوقع.





١٠٣ أفكارُنا في الميزان

كم مرَّة نعتقد فيها أن أفكارنـــا صحيحة وأفكار الآخرين خطأ؟! قد لا نستطيع عدَّ ذلك في حياتنا!.

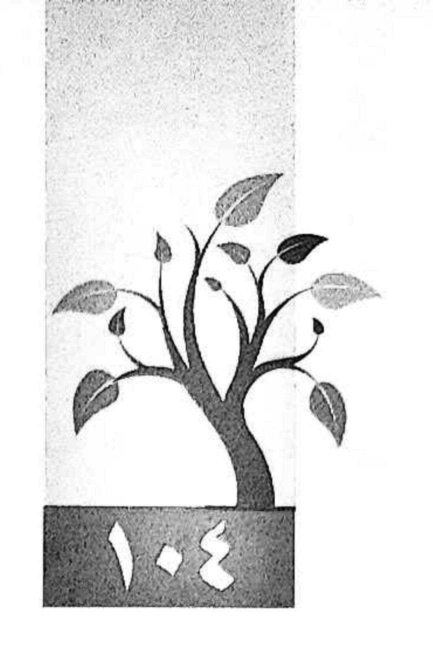
إنَّ هـــذه الحقيقـــة يجدها كلُّ إنســـان مع نفســـه، ويتأقلـــم معها، وتصبح ضرورة يعيشـــها فـــي كلِّ لقاء يجمعه مـــع غيره، وتنمو المشـــكلةُ وتكبـــر مع الأيام، ويـــزداد حجمها فـــي التأثيـــر، حتَّى ينتقـــص كلَّ رأي مخالف لرأيه وفكره، ويظلُّ هو الحقَّ فحسب!.

إنَّ ما يعتقده الإنســـان من أفكار قد يكون صحيحاً ومطابقاً للحـــق، لكن ليس بالضَّـــرورة أن يحمله هذا الاعتقاد على نســـف آراء الآخريـــن، ويظنُّ هذا الرأي هو الحقَّ وما عداه خطأ بالكلية، بل ينبغي مع اعتقاد

الإنسان بصحة رأيه أن يظلَّ لديه احتمال كبير بأن بعض ما يقوله خطأ، وبعض ما يقوله الآخرون صواب، كما قال أحد الكبار: رأيي صواب عندي يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب. اهـ.

وهذه المنهجية تُعطي امتداداً لرأي الإنسان وقبوله لدى الآخرين، وقبل ذلك يعطي النَّفس فرصة لمراجعة آرائها، والتحقق من الصَّواب فيها بشكل أكثر دقَّة وحيوية.





١٠٤ لا تلمْ أحداً

لا تلمْ أحداً على عمل لــم يقم به! قم إلى ذلك العمل واعمله على أحسن حال وأفضل هيئة!.

من السُّــهولة بمــكان أن نلقي باللَّوم علــى الآخرين، ونخرج من الموضوع ونحن أحرار لا تبعة علينا منه، وفي النِّهاية يدرك كلُّ من يتعامل معنا أن مهمَّتنا الكبرى أن نقطف ثمرة النَّجاح من جهود الآخريــن، ونتخلَّى عنهم وقت الإخفاق، وتلك الصفة تحمل من صور الأنانية وحبِّ الذات ما تبقى دلائل قبحٍ في شخصية الإنسان.

يجب علينا أن نعــذر كلَّ واحد وقع في الخطأ، وأن نأخذ بيده ونرفعه من حمأة الهزيمة، ونجد له مساحةً من العذر، فإن توسَّــعنا إلــى أن نحمل عنــه الخطأ ونشــاركه في همِّه وتقصيره؛ كنَّا كبــاراً على قدر ما نحمل من تبعات ذلك الحدث.

كلُّ إنسان يفرُّ من الهزيمة، ويتحاشى الإخفاق، ويجهد أن يكون في صورة النَّصر والنَّجاح في كلِّ لحظة، غير أنَّه مع كلِّ ذلك تأتي عليه لحظاتُ الإخفاق، ويسقط كما يسقط أي إنسان، ومن سوء الأدب لدى إنسان أن يجمع هذه السَّقطات ويؤلِّف بينها، ويكوِّن منها صورة كبيرة، ويظلُّ ينفخ فيها حتَّى تتوسَّع في حياة صاحبها.

علينا أن ندرِّب أنفسنا ألَّا نحتفل بالخطأ، وأن نراه شيئاً بسيطاً عاديّاً في حياة كلِّ إنسان، وألَّا نضخمه مهما كانت صورته كبيرة في الواقع، بل علينا أن نبتعد عن اللَّوم مهما كانت الأسباب داعية إلى ذلك..

إنَّنا حين نلوم إنساناً على فعل إنما نزيده حزناً وشقاءً وعذاباً، ونحسب أنَّنا نصنع له درجة يصعد عليها، ونحن نسقطه درجة، ونحاصره في خطئه، ونكتب عليه قدر ذلك الخطأ بأوسع ما يكون.

إنَّ من عظمة النُّفوس أنَّها ترتفع عن اللَّوم، وتجانب طريقه، وتضيِّق مساحةَ الأخطاء في تفكيرها؛ لدرجة أن تصبح هذه الأخطاء والعثرات لا قيمة لها في الواقع، وتظلُّ تنشد النَّجاح، وتنقِّب عنه، وتنفخ فيه حتَّى يكون هو الصورة المتفشِّية في حياة أصحابها.



١٠٥ كيفَ نواجِهُ مشكلاتِنَا؟

كلُّ مشكلة يواجهها الإنسان في حياته تظلُّ أمام الإنســـان فيها خيارات كثيرة! والمشكلة التي تواجه كثيراً من النَّاس أنَّ هذه المشـــكلة تظلُّ تتوسَّع في حياته، وتكبر في نظره، وتتوسع معها آثارها السيِّئة، وكم من مشكلة وقفت في طريق إنسان وأقعدتْه عن المشاركة الإيجابية في حياته!.

إنَّ الواجب على الإنسان أن ينظرَ إلى المشكلات على أنَّها جزء من الحياة، ولن تأتـــي لحظة الهناء المطلقة في حياة الإنسان مهما بلغ حرصه، وإذا كانت المشكلات جزءاً من حياة كلِّ إنســـان فالواجب أن نتعايش مع هذه المشكلة ونصطحب معها في الطَّريق، ونكوِّن معها علاقةً إيجابيةً؛ لأنَّ الإنسان بدون ذلك لن يستطيع أن يعيش.

فكيف إذا نظرنا إلى أنَّ كثيراً من هذه المشكلات هي الَّتي تستفزُّ طاقات الإنسان، وتستنفر قواه ليبني مستقبله على أنقاضها في يوم ما!.

يجب أن ندرك أنَّ الحياة تظلُّ مشوبة بالأكدار والعوارض، وليس الحلُّ أن نبكي هذه اللحظات ونلعن هذه العوارض، وإنَّما نستعين عليها بالصَّبر، ونجهد في تذليلها بالإيمان، ونحاول أن نجعلها عرشاً للتَّفوُّق والنَّجاح.

والحقيقة التي ينبغي أن تملأ قلبك: أنَّ كلَّ إنسان في الحياة مثلك؛ ليس بالضرورة في ذات المشكلة والمصيبة، وإنَّما في لون آخر منها، وكلٌّ يجهد لتجاوزها، أو يجلس في عرض الطَّريق يبكي أقدارها.

كم من إنسان نفرتْ به هذه المشكلةُ أو تلك المصيبة، واستفزَّت قواه، واستنفرت طاقاته حتَّى أصبحَ يُشار إليه بالبنان، ومشكلته أو مصيبته ترافقه حتَّى في لحظات النَّجاح والتَّفوق..

وكم من إنسان قيَّدتْه تلك المشكلة، وجعلتْه يرسف في أغلال الوهم والحزن، حتَّى صيَّرتْه لا قيمة له في الحياة كلِّها!.



١٠٦ ادفعْ عنكَ الهَمَّ

لستَ مسـؤولاً عن حمل هموم الآخرين! فلديك من الهموم والمشكلات والمسؤوليات ما يكفيك..

مشـكلة كثير من النَّاس أنَّه مسـتعدٌّ للمشـاركة في حلِّ كلِّ قضية، ومستعدٌّ للمسـاهمة مع كلِّ إنسان، وفي النهاية يتحمَّـل فوق طاقتـه، ويأخذ أكبر مـن حمله، ويسير مرهقاً من تحقيق غاياته ومسؤولياته في الحياة.

إنَّ الإسـلام يشـجِّع كثيراً على التعاون، ويكتب على لحظاته سعادة الإنسان وفوزه ونجاحه في الحياة، لكنَّه في المقابل يحـذِّر أن تكون هذه الغنائم على حسـاب واجبات الإنسان ومسؤولياته تجاه أدواره في الحياة.

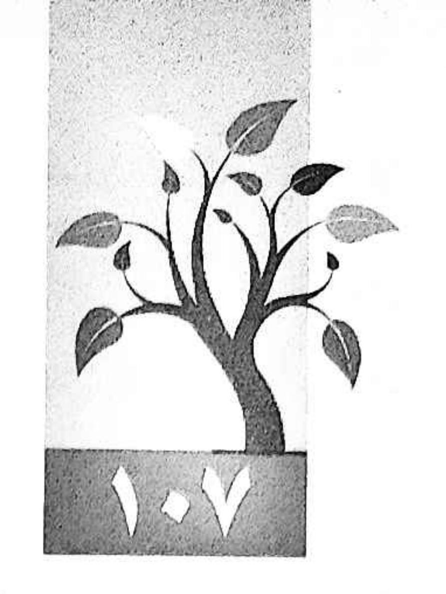
إنَّ كثيراً من النَّاس يتقمَّص كلَّ مشكلة، ويرحِّب بكلِّ مشاركة، فَيَصِلُ في النِّهاية إلى العجز عن حمل أدواره

المنوطة به، وواجباته المكلَّف بها، ومسؤولياته الَّتي لا خيار له في الاعتذار عنهـا، وغالب هؤلاء تأتي عليهم الأيـام وقد لحقهـم التقصير في كثير مـن الواجبات والمسـؤوليات، ومن ثم لحقهم القلقُ والحزن، وأتت عليهـم النِّهايـات بالعجـز والقعود عن مسـؤولياتهم وواجباتهم، وحتى عن عون الآخرين والمشاركة معهم.

وإذا كانت هذه النتيجة في واجبات الإنسان نفسه؛ فكيف بتلقُّف كلِّ عارض، وتلقِّي كلِّ هَمٍّ؟.

ما أحوجنا في هذا الزَّمن الذي يقف فيه الإنسـان عاجزاً عـن ملاحقة أعماله وواجباته إلـى التُّؤدة في كثير من قضاياه! مـا أحوج الواحد منَّـا أن لا يكلِّف نفسـه فوق طاقته، وأن يخطو إلى مسـتقبله وهو يجد لذة العمل والمشاركة تجري في روحه وحياته.

لنتخفَّفْ عن كثير من الأعمال والأثقال، ولنشـارك بالقدر الذي يمكننا من توسـيع آثارنا والحفاظ على طاقاتنـا، وأن نتذكَّر أنَّ الكثرة غالبـاً ما تكون دليل ضعـف تخطيط، وأنَّ الإحسـان في العمـل عليه مدار الابتلاء: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].



١٠٧ متى ستموتُ؟

أعلم أنَّك لا تملك الإجابة! لكنَّني أدعوك في هذا السُّؤال إلى قراءة سيرتك، واستعراض إنجازاتك، وتأمُّل حياتك!.

إنَّ كثيرين ماتوا وهم يأملون أن يجدوا وقتاً يستمتعون فيه بالتبكير للمسجد، والاستمتاع بالصَّلاة، وقراءة القرآن، أو التفرُّغ للوالدين، أو منح أبنائهم الوقت الكافي، أو حتَّى زيارة أقاربهم وجيرانهم وإخوانهم بصورة فاعلة! وفي النِّهاية قضوا الحياة كلَّها وهم لم يجدوا الفرصة الكافية لكلِّ ذلك.

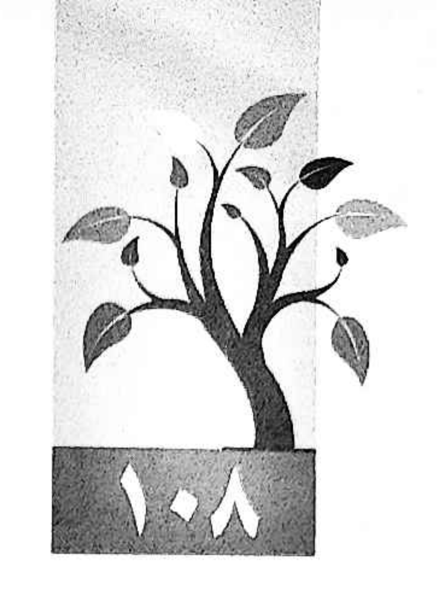
إذا كنَّا لا ندرك متى نموت، فالواجب علينا أن نعيد قراءة سيرنا، وأن نبادر في ترتيب أولوياتنا قبل أن تأتي لحظة الفوات وهي مليئة بالأسف والحزن.

لقد آن الأوان أن يأخذ كلُّ واحد منَّا حظَّه من الاستمتاع بالحياة، وأن يخفِّف عن نفسه هذه الضغوط الَّتي يعاني من تكاليفها!.

أليس بإمكان أحدنا أن تأتيه لحظاتُ الوداع وهو يشعر فيها بالطُّمأنينة، ويجد في قلبه لحظات الرِّضا، ويدرك تلك اللحظة أنَّه ليس بحاجة أن يستعجل في قضاء مهمَّة لم تستوف حقَّها بعد!.

إنَّ علينا أن ندرك أنَّ الرحلة من هذه الدَّار ستظلُّ مجهولة، والحزم أن نأتي على كلِّ واجب فنعطيه حقَّه، ونستوثق من كلِّ دور، ونأتي منه على ما نستطيع، فإذا ما جاءت تلك اللحظة جاءت على طُمأنينة وراحةٍ واستقرار.





١٠٨ لا تردَّها

كلُّ نصيحة توجَّه لك فينبغي أن تأخذ حظَّها من النَّظر والتأمُّل!.

إنَّك حين تمنحهـــا بعضاً من الوقــت والتفكير ستجدُ لها حظّاً من الواقع في حياتك..

صحيــح أنَّ وجهات النظر تختلف بين الأشــخاص، ولا أدعوك هنا أن تأخذ تلــك النَّصيحة من كلِّ وجه، وإنَّما أذكــرك ألا ترفضها، وأن تعطيها مســاحة من الوقت، وليس بالضــرورة في ذات الوقــت، وإنَّما في وقت راحتــك، فلعلك تجــد فيها ما يدفع مســيرتك، ويحقِّق لك ما تريد.

إنَّ على الإنســان أن يســتقبل كلَّ نصيحة استقبال

الراغب في الإصــلاح، وأن يمنحها الوقت الكافي من التأمُّل والتفكير، لعلها بعد ذلك تحقِّق له عوائد خير من التوفيق والنَّجاح في سائر حياته.

إنَّ علينا أن ندرك أنَّنا لن نخســر شـيئاً باستقبال النَّصيحة، بل سـتكون عوائدهــا أكثر ممَّــا نتوقع في حياتنا كلِّها، وقد بلغك أن نبيَّك ﷺ جعلها كلَّ الدِّين، فقال: «**الدِّين النَّصيحة، الدِّيــن النَّصيحة، الدِّين النَّصيحة**» كل ذلك لتعلم عظمها وأثرها في حياتك.

إنَّ مشــكلتنا مع النَّصيحــة أنَّنــا لا نمنحها الوقت الكافي من التأمُّل، ولا نعطيها المســاحة الوافية من الإمعان، بل تأتي محمَّلة بصور كثيــرة من الوهم عن قائلهــا، فيذهب أثرهــا، ولا تجد لها أرضاً مناســبة للتطبيق في غالب الوقت.





اجعل إجازتَك ممتعةً

الإجازةُ فرصة للاستمتاع، ودعوةٌ لتحقيق الرَّاحة والطُّمأنينة الَّتي ينشدها الإنسان في حياته، لكن هل كلُّ إجازة تُضفي هذه المعاني في حياة الإنسان؟!.

كلا! الإجازة التي تمنح الإنسان ما يريد هي الإجازة التي نخرج فيها من مشكلاتنا وهمومنا، ونقرِّر أن نعيش لحظتها الَّتي نعيشها دون أدنى مؤثرات.

رأيتُ كثيرين يخرجون من أماكنهم يبحثون عن الراحة الَّتي تمنحهم الإجازة، لكنهم في ذات الوقت يخرجون بكلِّ همومهم ومشكلاتهم وأزماتهم، ولم يتغيّر عليهم شيء سوى المكان، ومثل هؤلاء لا يستفيدون من الإجازة بالقدر الَّذي يريده من يبحث عن الاستمتاع.

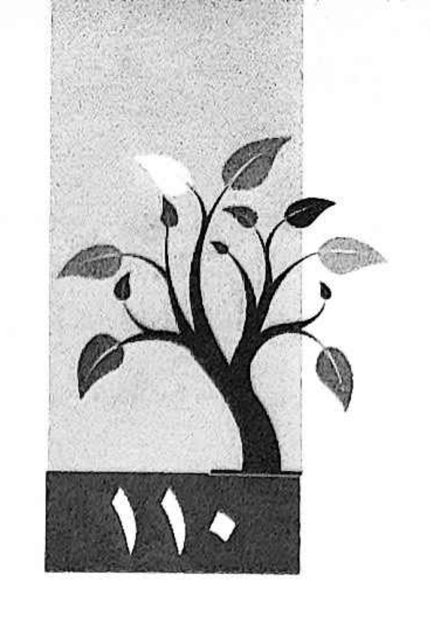
نحتاج في أحيان كثيرة أن نقرِّر أن لا تخرج أجسادنا من البيئة التي نعيش فيها، بل تخرج أفكارنا أولاً، وتأخذ فسحتها الكافية من الإجازة، وقد نحتاج أن نقرِّر ترك الجوال بالكلية، وحجب وسائل الاتصال ولو لفترة معينة، أو نستبدل أرقامنا لحظة الإجازات لنستفيد منه في حدود الضرورات، فلعلنا بذلك نعيد بعض معاني الهدوء الغائبة عن حياتنا منذ زمن طويل..

يحدِّثني أحدُ الزُّملاء أنَّ صديقاً له خرج في الإجازة إلى دولة خارجية، وخرج بجوَّاله وشريحته المعتادة، فما أن وصل للبلد ودخل الفندق واستلقى على السَّرير إلا والجوال يرنُّ؛ قريب له يخبره عن وفاة بعض أبناء مجتمعه، وعاد وهو في حرج شديد؛ إن لم يعد فقد يتحدَّث من اتصل أنَّه بلَّغه ولم يأتِ، وإن عاد كلَّفه ذلك رحلة عودة بكلِّ مشاقها، ولم يجد بدّاً من الرأي الآخر، فرتَّب للعودة وعاد!.

إنَّ الإجازة تظلُّ ممتعةً حين نخطِّط لها، ونقرر أولاً أن تخرج عقولنا من أسر المشكلات الَّتي تواجهها

في واقعها العمليِّ والاجتماعيِّ، وتخرج وهي تبحث عن كلِّ ما يسـعدها ويعيد ترتيب حياتها، وتجد بعد ذلك اسـتقرارها وهدوءها التي سـافرت من أجله، أمَّا من يخرج من بيته بذات المشـكلات التي يعانيها، وتظلُّ تصحبه فـي كلِّ أرض، فلن يجد المتعـة الَّتي يبحث عنها، ولن يصل إلى مقصوده، وسيعود مرهقَ التفكير، متعبَ الجسد، ولن يجد ما ذهب يبحث عنه بالكلية.





١١٠ حياةُ القلب

ما أحوج الإنسان إلى حياة قلبه وطمأنينته واستقراره!.

وقد دلَّنا الله تعالى على أعظم الطُّرق لحياة هذا القلب وسعادته في قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧].

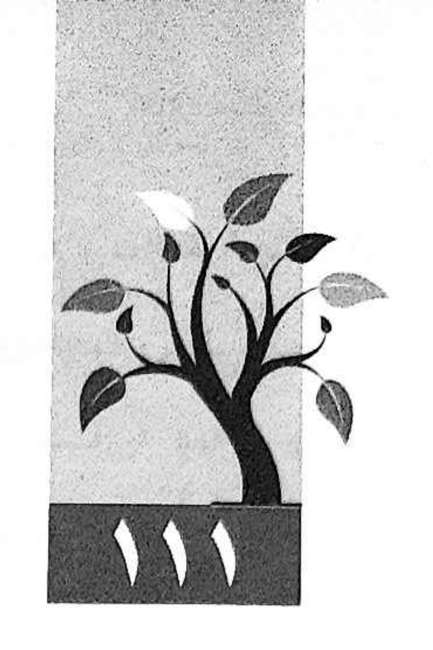
وعلّق طمأنينة القلب بذكره تعالى، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

وأبان النبيُّ ﷺ أنَّ للإيمان حلاوة تُذاق، فقال ﷺ: **«ذاق طعمَ الإيمان من رضي بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبيّاً».**

وقال: «**ثلاث من كنَّ فيه ذاق بهنّ حلاوة الإيمان...**» وذكر منها: «**أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما**».

وهذا كلُّه يدلُّك على أن أعظم الطرق للسَّعادة، وأفسحها لتحقيق طمأنينة قلب الإنسان؛ هو الإيمان بالله تعالى، وتعظيم أمره، والوقوف عند نهيه، وكلُّ من عرف الله تعالى حقيقة المعرفة، وقام له بحقِّه كما أراد، تعلَّق قلبه بمقصوده، ودخل على الله تعالى من أوسع الطُّرق وأصدقها، ولقي كلَّ ما يبحث عنه من سعادة وطمأنينة وراحة واستقرار ينشدها في عرض هذه الحياة.





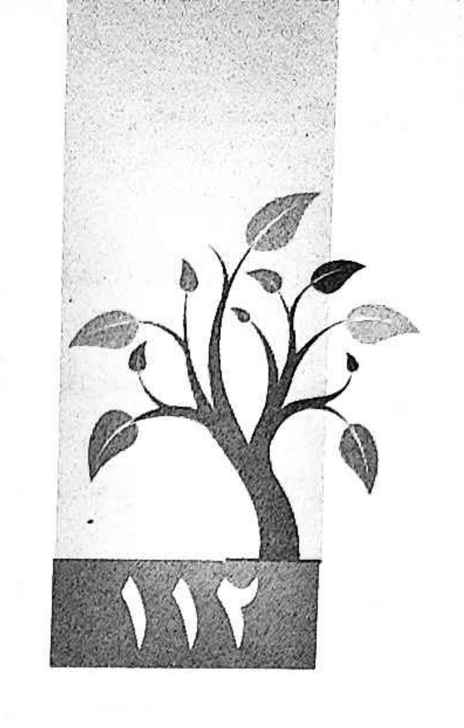
١١١ المؤامرةُ

جزء من مشكلاتنا مع الغرب أنَّنا نجعل كلَّ فعل يأتي من البوَّابة الغربية هو جزء من مؤامرة تُحاك على الإسلام والمسلمين، ونظلُّ نتعامل مع الوارد منهم على أنَّه جزء من العداء المشار إليه في قول الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ومع إدراكنا لحقيقة هذا العداء على أرض الواقع، وأن هناك دراسات استراتيجية تجاه الإسلام وأهله، وتخطيط لإيقاف مدِّ الإسلام، إلا أنَّه ليس بالصُّورة الَّتي يتوقَّعها بعضُ النَّاس من أن لهم في كلِّ شيء مؤامرة، بل الحقيقة أنَّ جزءاً عريضاً من هؤلاء يعيش لنفسه، ومشغول بحياته، ولا يعنيه الإسلام والمسلمين

في شـــيء، بل ربَّما لم يســمع عن الإســلام أصلاً إلا أحاديث عابرة، وآخرون يصنِّعون ويجهدون في تسويق سـلعهم، رغبة في الوصــول إلى المــال، وبأي طريق كان، وليس لهم وراء ذلك أي هدف.

إنَّ علينا أن نتحصَّن بإيماننا، وأن نســتلهم عزَّتنا، وأن نقبــل على مقدراتنــا الشَّــخصية بالاهتمام، وأن نكــوِّن من خلال ذلــك بنية قــادرة على أن تســتقبل كلَّ فكــرة يصنعها الغرب بأنَّها فرصة لبناء أنفســنا، والرقيِّ بذواتنا، وأن نكون قادرين على انتقاء الصَّالح منها، والاستفادة منه غاية الوســع، وتجنُّب ما يمكن أن يتصادم مع القيم والثوابت في حياتنا.



١١٢ استمدادُ التَّوفيقِ

التوفيق شيء من عند الله تعالى يهبُه الله تعالى لمن يشاء من عباده، وغالب من فُتح له في باب من الأبواب إنَّما ذلك من توفيق الله تعالى له.

يشير الله تعالى لهذا المعنى في كتابه الكريم، فيقول تعالى: ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [النور: ٣٥].

ويقول تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾ [النور: ٢١].

ويقول تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

فهذه الأدلة كلها تثبت هذه القضية، وتؤكِّد على أنَّ كلَّ من يعيش نعمة أو منة، فإنَّما ذلك محض فضل

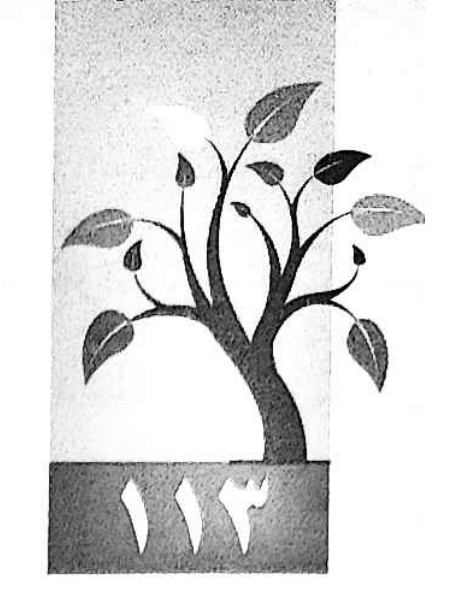
الله تعالى عليه، وهذا مفهوم واضح عند غالبية النَّاس، إلا أنَّ ثمَّــة خطأ يأتي من خلال الممارســة في تحقيق هذا المفهوم، والوصول إلى عناقه في حياة كلِّ إنسان، ومنشأ الخطأ أن يظنَّ إنسان أنَّ هذا التوفيق يأتي هبة، ويتنزَّل في لحظة، وعلى كلِّ إنسان أن يتطلَّع له، وينتظر تنزُّله عليه في أي وقت دون أي عمل مقابل لذلك!.

إنَّ التوفيق وإن كان في أصله من عند الله تعالى؛ إلا أنَّه لا يأتي إلا من خلال جهد الإنسان، وحسن علاقته بالله تعالى وســيره إليه، وحين يبذل الإنســانُ كلَّ ما يقدر عليه في سبيل تحصيل هذه الغاية الكبرى، يتنزَّل عليــه التوفيق نتيجة لتلــك الجهود، وهذه سُــنة إلٰهية يجب أن يفقهها الإنسان وهو يتعامل مع الله تعالى.

وفي قــول الله تعالــى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] أوضح دليل على ذلك.

وعلى كلِّ إنسان يتطلَّع إلى توفيق الله تعالى، عليه أن يســتمدَّه من خلال إصلاح نفســه وواقعه، وجهده وعمله في سبيل ذلك، وإلا لن يصل إلى شيء.





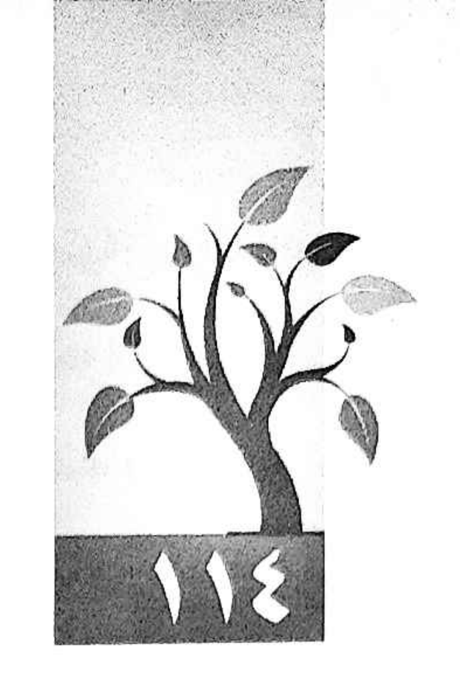
سَوِّقْ فكرتَك

إنَّ الأفــكار اليوم باتــت تلعب دوراً خطيــراً في بناء الإنســـان! وكلُّ إنســـان يتحرَّك في واقعه إنَّمـــا تحركه أفكاره، وكذلك كلُّ قاعد على جنب الطريق إنَّما أقعدته أفكاره، ومســـألة تصل في تأثيرها لهذه الدرجة حقيقة بأن يُعنى بها ويُخطَّط من أجل بلوغها آثارها بكلِّ ممكن.

إنَّ الفكرة كالمنتج الَّذي يحاول صاحبه عرضه في الأســـواق في أبهى صوره وأشـــكاله حتَّى يستحوذ على عقول النَّاس ويقبلوا عليه، وبات اليوم ينفق على مظهر الفكرة الخارجيِّ وحســـن تسويقها أكثر ممَّا ينفق على إعدادها، وإذا كانت كذلك فإنَّ على كلِّ صاحب فكرة مشروع في الأرض أن يسعى لحسن تسويقها بالطَّريقة التي تســـتقبلها العقول، وتبتهج بهـــا النفوس، وتصبح واقعاً في حياة مستقبلها.

علينا أن ندرك أنَّ تسويق الأفكار مشروع يحتاج إلى قناعة المتلقِّين بصاحب الفكرة، وهذا يؤكِّد على ضرورة العناية بأنفسنا، وإعدادها، والعمل على تكوينها حتَّى تصبح هذه النفوس قادرةً على حُسن التسويق للفكرة في أبهى صُوَرِها.

إنَّ الفكرة لا تأخذ مكانها اللائق بها في نفوس النَّاس حتَّى تسقيها القدوة بالقدر الكافي لنموها وانتشارها في أفكار النَّاس، وسيظلُّ نجاحُ كلِّ فكرة موقوفاً على حجم القيم والمبادئ في نفس صاحب الفكرة، وكلُّ فكرة لم تُرْوَ من نفس صاحبها ستظلُّ ضعيفة التأثير في نفوس مستقبليها مهما كانت قدرتنا على تسويقها بعد ذلك، فإذا ما خرجت الفكرة ريَّانة من أصلها كانت بحاجة بعد ذلك إلى ثقة صاحبها وقوة قناعته بالفكرة، وجرأته وشجاعته في ذات الوقت، وكلُّ فكرة لا تحتفُّ بها هذه العوامل تخرج باردة لا قيمة لها، ولا أثر فيها، ومع ذلك فهي بحاجة إلى بسط نفس، وسعة خاطر، واتساع عقل، وقدرة على إدارة النقاش حولها بالأسلوب المناسب، على أن يكون كلُّ ذلك محفوفاً بصدق النية والإخلاص.



١١٤ غذاءُ الرُّوح

كم ننفقُ في غذاء الجسد من وقت وجهد ومال!..

إنَّنا نحسنُ فنَّ الاختيار لغذاء الجسد لدرجة كبيرة في حياتنا؛ فترى الواحد منَّا يُعنى بنوع الطَّعام ومكانه وزمانه، ولو حسب كلُّ واحد منَّا كم ينفق في سبيل ذلك لأدرك قدر العناية المستهلكة في هذا الغذاء.

وفي المقابل ننسى غذاء الرُّوح، ونهمل العناية به، وربما نستخسر فيه الوقت والجهد والمال.

وكلُّ إنسان مدعوٌّ أن يقارن بين ما ينفقه في غذاء الجسد وغذاء الروح، وسيتعرّف بنفسه على الفرق الهائل في ذلك.

وحين تتأمَّل في غذاء الجسد تجد أنَّه يحتاج منك

مالاً، والكثرة منه مؤذنـــة بالأمراض والأدواء؛ بخلاف غذاء الـــروح؛ فإنَّه في العادة لا يكلِّف الإنســـان مالاً، والكثرة منه مؤذنة بالعافية والطمأنينة والرَّاحة.

إنَّ غـــذاء الرُّوح يحتاج إلى وقت فحســـب، وعوائده على الجســـد نشـــاط وقـــوة وعزيمة وتوفيـــق كما قال النبيُّ ﷺ: «**يعقد الشَّـــيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد؛ يضرب مكان كلِّ عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن اســـتيقظ فذكـــر الله انحلَّتْ عقدة، فـــإن توضَّأ انحلَّتْ عقدة، فـــإن صلَّى انحلت عقدُه، فأصبح نشيطاً طيِّب النفس، وإلا أصبح خبيث النَّفس كسلان**».

فتأمـــل كيف أن الطاعة يصبح الإنســـان من آثارها نشيطاً طيب النفس!.

وهو ذات المعنى الذي حاول شـــيخ **الإســـلام ابن تيمية** أن يمدَّ في أثره في حياته، فكان يصلِّي الفجر، ثم يجلس في مصلاه طويلاً، ثم يقول بعد ذلك: «هذه غدوتي، لو لم أتغدَّاها لم تحملني قواي».

وحدّث **ابن القيم** ببركة هـــذا الغذاء قائلاً: الذكر

يعطي الذاكر قوة؛ حتَّى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظنَّ فعلَه بدونه، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابته أمراً عجيباً، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر، وقد شاهد العسكر من قوَّته في الحرب أمراً عظيماً.

وقد **علَّم النبيُّ ﷺ ابنته فاطمة وعليّاً** رضي الله عنهما أن يسبِّحا كلَّ ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين، ويحمدا ثلاثاً وثلاثين، ويكبِّرا أربعاً وثلاثين؛ لمَّا سألتْه ابنتُه الخادمَ، وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة، فعلمها ذلك وقال: «**إنه خير لكما من خادم**».. فقيل: إن من داوم على ذلك وجد قوةً في يومه مغنية عن خادم. اهـ.

وعلى كلِّ عاقل أن يدرك كم هو بحاجة إلى هذا الغذاء! وحين يحسن العناية به سيجد آثاره أروع ما تكون في حياته.





من نستفتي؟

حين نحتـــاج بناء بيت، أو إصلاح ســـيارة، أو بناء مشروع، سيجدُّ الواحد منَّا في اختيار أفضل من يعرف لإدارة هذه المشاريع ولو كلَّفه ذلك مالاً أكبر، وذلك من كمال عقل الإنسان، وحرصه على إدارة مشاريعه.

لكنَّك تســـتغرب في ذات الوقت أن يكون الإنسان بهذه الدقَّـــة في مشـــاريع دنياه، ويحـــرص غاية الحرص علـــى نجاح هذه الجوانب فـــي حياته، ثم تجده في المقابل مـــن أقلِّ الناس حرصاً على نجاح دينه ومستقبله الأخروي.

وأوضح مثال على ذلك تجـده إذا احتاج إلى فتوى في دينــه يتوقَّف عليها صحة عبادتــه، أو معاملته؛ لم

يبحث لها عن مختصٍّ كما بحث لمشـــروعه الدنيويِّ، ولم يجتهد في اختيار ثقة لبيان الحق، وإنَّما يستفتي من يجده في عرض الطريق، ويقنع بما يقدمه له من فتوى، ويستكثر على نفسه أن يبحث عن ثقة في دينه، بل قد لا يعرف ثقة فـــي ذلك البتة، فتراه يأخذ دينه من كلِّ من يســـمع، ويســـأل كلَّ من يرى، ويتعبَّد اللّٰه تعالى على فتاوى لا يعرف قائليها بدين أو علم.

إنَّ دين الإسلام رأس مال الإنســـان كلّه، وأخذه من كلِّ مدَّعٍ وبأرخـــص التكاليف وبأقـــل الأوقات من أعظم الأدلة على رقَّة دين الإنسان، وعدم رعايته لحرمات اللّٰه تعالى، والعبث بقيم هذا الدِّين في صور كثيرة متناثرة.

إنَّ الواجب علـــى كلِّ مقلِّد أن يتحرَّى في دينه، وأن لا يأخذ فتواه إلا من ثقة فـــي دينه وعلمه، حتَّى يلقى اللّٰه تعالى معذوراً يوم القيامة، أما أن يأخذ الإنســـان دينه بهذه الســـهولة، ويقنع بـــكلِّ من يـــراه في قناة فضائية، أو وســـيلة إعلامية دون أن يعرف عنه شـــيئاً فذلك دليلُ خطرٍ، ونذيرُ شَرٍّ.



١١٦ النَّصيحةُ

النَّصيحة من أعظم ما أرشد إليها دين الإسلام، وأكَّد على أهميتها، وقد جعلها النبي ﷺ الدين كله، فقال: «الدين النصيحـــة، الدين النصيحة، الدين النصيحة».

وهذا المعنى لم يأخذ حقه من قلوبنا بعد!.

إن الواجـب علـى الإنســان حيــن يرى خلــلاً في حياة أخيه المســلم أن يسارع بسـدِّ تلك الفرجة في شــخصيته، وأن يلمَّ شــعثها بالنَّصيحة، وأن يجهد في كمال أخيه بنصيحــة أخوية تلبس ثوباً جميــلاً مهذَّباً حتَّى تؤتي ثمارها وأكلها في حياته.

إنَّ الإنســان ســيظلُّ ناقصاً بنفســه، محتاجاً إلى

إخوانه في تكميل شخصيته، وحين تفشو النصيحة فيما بيننا تزداد لُحمة الإخاء والإيمان، وتتوسع الفضائل بصور رائعة، وتشعر أنك عضو في جسد كبير، ويظل سعيك محفوفاً بالتوفيق؛ لأن من معك ومن حولك وبجوارك يسدُّ كل خلة نقص، ويجبر كلَّ عثرة زلل.

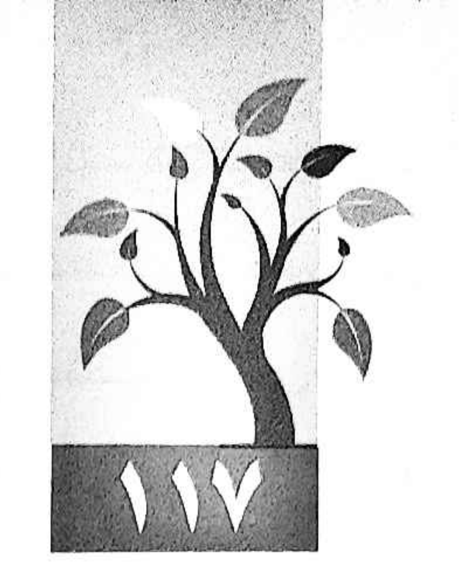
وحين تضعف هذه القيمة فيما بيننا، يظلُّ الإنسان محفوفاً في كلِّ جهد بالنقص، وتتفشَّى الأخطاء والنقائص في حياته، وهو لا يجد ناصحاً يجبر ذلك الخلل في حياته.

ولا يفوتك أن تكون النصيحة في ثوب رائق المعنى، مهذَّب العبارة، رائع الأسلوب، وأن تأتي في أوقاتها المناسبة، وسرّاً فيما بين الناصح والمنصوح، وغالباً ـ إذا لبست هذه المعاني ـ ما تؤتي ثمارها، وتحقِّق مقاصدها، ويمكن أن تستثمر وسائل التقنية اليوم في إشاعة هذا المفهوم في أوسع صوره وأعظم مقاصده.

ولا يفوت العاقل أنَّ الشَّيطان سيجهد في الحيلولة بينك وبين هذه القيمة بصور كثيرة متناثرة، وستقوم

جملة من المعاذير في وجهك أثناء مبادرتك لذلك، فتخلَّصْ من الوهم، وارْقَ للفضائل، واجتهد في تخليص إخوانك من نقائص الأقوال والأفعال ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وليس مهمّاً أن تلقى هذه النَّصيحة استقبالاً كبيراً في قلب من تنصحه، بل المهمُّ أن تكون خالصة في لمِّ شمله، وسدِّ عثاره فحسب.





واجِهْ خواطرَك

كلُّ مشــكلة تبدو أولاً فكرةً وخاطرة على قلبك، وما تزال تمضي هذه الأفكار حتَّى توردَ صاحبَها إلى المهالك.

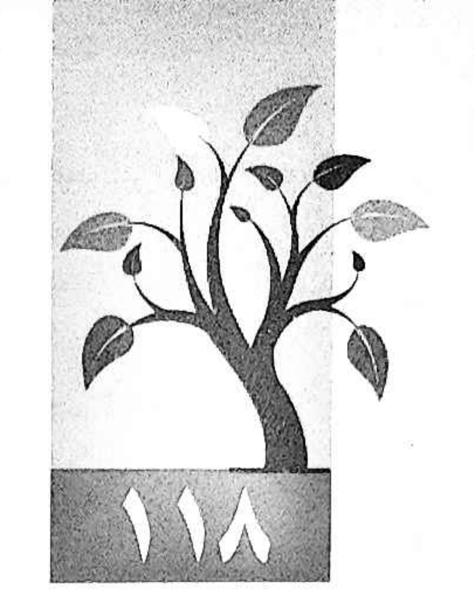
إنَّ الأفـكار هـي بـذر الشَّـيطان كمـا قـال ابن القيـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويظـلُّ يتعاهدها بالسُّـقيا حتَّـى تصير إراداتٍ، ثم تكون بعد ذلك عزائم، ثم تثمر الأعمال.

إنَّ غالب مشـكلاتنا التي تخرج على السَّـطح في صورة أعمال كبرى هي في البداية خواطر تأجَّجتْ في صدر صاحبها، وأخذتْ حيِّزهـا من التفكير والحديث النفسي، حتَّى خرجت في النِّهاية في صورة عمل كبير في أرض الواقع.

إنَّ الإنسان لا يصل إلى هجر إنسان - كمثال - وعدائه وأخذ موقف تجاهه إلا بعد نصيب كبير من الخواطر والأفكار الَّتي استطاع الشيطان أن يثير مواقفها، وينصب أدوات العداء فيها، وينفخ كيرها حتَّى تتَّقد وتصير جمرة من غضب، وتنزل في أرض الواقع حرباً قد تنتهي في أحيان كثيرة بالقتل، وقل مثل ذلك في أي عمل صغر أو كبر يأتي في صورة خواطر بسيطة، ثم ما يلبث أن يكبر ويتفشّى حتَّى يصبح كبيراً عظيماً.

إن علينا أن نحارب كلَّ خاطر شيطانيٍّ يأتي لفتح قضية في نفوسنا، وأن نقف موقف القادر على سدِّ منافذ الشيطان قبل أوان خروجها.





١١٨ الفضول

غالب أمراضنا التي نعانيها إنَّما هي من الفضول الذي يطغى على حياتنا، ويؤثِّر عليها سلباً، ويضعف قوتها، ويؤثّر على أرباحها في الدَّارَيْن.

وغالب الأمراض المعنوية التي نشكو منها هي بعض آثار الفضول الذي نمارسه كلَّ يوم دون وعي أو إدراك.

كم من إنسانٍ يشكو من قلق نفسه، وضمور همته، وضعف إرادته، ويتلفَّتُ يبحث عن سبب ذلك فلا يجد ما يحيله عليه، ويبقى يتساءل: كيف الخلاص؟.

وفي الواقع أن الفضول في كثير من الأحيان هو سبب أمراضه وأدوائه ومعاناته.

رأيتُ من يتكلَّم بلسانه في كلِّ شيء، ويخوض في

كلِّ قضية، ويتكلَّم في كلِّ إنسان، ولا يبالي ما يقول في كثير من الأحيان، وإذا مرض قلبُه ووجد مضَّ الهمِّ في نفسه؛ سأل عن الدَّاء، وهو الذي أسقى نفسه به مراراً.

ورأيتُ آخر ترك لعينه تجول فيما شاءت، وأينما أرادت؛ لا ضابط لها، ولا قيد يوثقها، حتى إنَّها لتجول في الحرمات؛ لا تبالي أين تكون في لحظة شهوتها، ثم بعد ذلك يسأل عن الدَّاء كيف أصابه؟ ومن أين دخل عليه؟.

وقل مثل ذلك في سائر أنواع الفضول يتجاوز فيها الإنسان حدَّه المشروع، فيفقد جوانب الإشراق في قلبه، فيتأسَّف بعد فوات الأوان.

إنَّ على كلِّ إنسان أن يدرك أنَّ هذه الجوارحَ أبوابٌ مُشَرَّعة على القلب، وكلُّ عاقل ينبغي أن يدرك متى يفتح لها الباب ومتى يقفله؛ فإن لم يفعل صارت به إلى أودية الشتات والهلاك.

وكم من قلق وهمٍّ وشتات يجده الإنسان في حياته قد هيأ له الفضولُ الطَّريقَ، وفتح له البابَ حتَّى كانت عاقبة صاحبه الحرمان!..



الفهرس

لن ألقي في يدك عصاً لتضرب بها إخفاقك!..

ولا أرى في قدمك قيداً لأفكه عنك حتى تنطلق!..

في يدي فقط بعضُ مفاتيح أحلامك التي تريد، ومستقبلك الذي تعيش آماله من سنين!..

وأنا ضامنٌ لك أنَّ قراءتك لصفحات هذا الكتاب بإمعانٍ كفيلةٌ بأن تؤسِّس لك صرحاً من الأمل، وتبني لك عرشاً كبيراً في طريق المجد.

المؤلف

ISBN 978-9933-475-42-X

